وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة أحمد دراية أدرار

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية والعلوم الإسلامية

قسم العلوم الإنسانية

الرقم التسلسلي:

رقم الجرد:

الوجود التركي بالجزائر بين الغزو والمقاومة

1500م –1637م

مذكرة تخرج لنيل شهادة ماستر في التاريخ

تخصص تاريخ حديث ومعاصر

إعداد الطالبين:

– مصطفى الوكي

– وهيبة عيشي

إشراف الدكتور:

– محفوظ رموم

السنة الجامعية 1436هـ/1437الموافق لـ2016/2015

الإهداء

الحمد لله الواجب الوجود الدائم العطاء والوجود،الموجود قبل كل موجود،والصلاة

والسلام على اشرف المرسلين سيدنا وقائدنا وشفيعنا محمد صلى الله عليه وسلم.

اهدي هذا العمل المتواضع إلى اللذان تكفلا عناء المشقة في تعليمي وكانا سندي لي في الحياة
إلى منبع المحبة و الصفاء إلى من لا ترد دعواتهم والدي الكريمين أطال الله في عمرهما.

إلى جدتي الغالية أطال الله في عمرها

إلى إخواني و أخواتي محمد الأمين، أحمد، عبد الباسط، عبد المالك، عبد المجيد،حمزة امباركة،
هاجر، سارة، فضيلة

،اخوالي وخالاتي أعمامي وعماتي وكل من يحمل لقب الوكي ،برادي،نعمان .

الى كل من وقف بجانبي وساعدني ولو بكلمة ،على انجاز عملي هذا .

الى كل الطالبات و أخص بالذكر حفصة ، وهيبة ، مريم ، صليحة ، حنان ، رحمة ، زينب

الى اخواني في الاقامة الجامعية : هيباوي محمد الشريف ،إلى روح الفقيد دينو عبد الكريم رحمة
الله عليه ، حسني الطبيب ، رقادي،الخاه، اخليفات ،سيماوي، الكنتاوي، مولودي، كيرامي ،جوجي،
اسامة، باباعلي، كرزيكة، ،بوزيان ،زرقان ، الوافي ، مقمد، اقاري، مويسي، محمد بيكة، اكواري،
لنصاري، حميد، العمال،اولاد حسيني، لاويس،محمد الوكي،مسيغي،ميساوي،ولد لنصاري.

والى كل من ذكرهم قلبي ونساهم قلمي.

مصطفى

شكر وعرفان

الحمد لله الذي علمنا ما لم نعلم وفضلنا على جميع خلقه وجعلنا خلفائه في أرضه ،كما نتوجه اليه بالشكرعلى ما منحنا به من إرادة وعلم ،ووفقنا في انجاز هذا العمل المتواضع.

كما نشكر الأستاذ المشرف الدكتور "رموم محفوظ" الذي لم يبخل علينا بتوجيهاته وإشاداته فجزاه الله عنا خير الجزاء.

كما نتوجه بجزيل الشكر إلى كل أساتذة جامعة العقيد أحمد دراية وخاصة أساتذة قسم العلوم الإنسانية

كما نشكر لجنة القراءة التي ستتكفل بتصحيح هذا البحث.

مقدمة:

إن تاريخ الجزائر حافل بالأحداث و الوقائع ، وما زادها قيمة مجمل الأحداث المتتالية التي شهدتها منطقة شمال إفريقيا من الناحية السياسة من صراعات داخلية و خارجية بين بلدان المنطقة ،إلا أن القرن السادس عشر ميلادي جاء فريدا في طبيعته و ميزته ، إذ عرف ظهور الأتراك في منطقة شمال إفريقيا عامة و في الجزائر على وجه الخصوص ، ما يؤدي لاحقا إلى إلحاق الجزائر بالدولة العثمانية و ذلك سنة 1518م.

وبعد وصول الأتراك إلى الجزائر و التي حكموا بها 3 قرون ،بناء على طلب النجدة من بعض سكان المدن الساحلية (جيجل ، بجاية) ، وهو ما وجد فيه الأتراك سبب لدخول المغرب الأوسط و بدون قوة او حرب على خلاف المشرق الذي خاضت فيه الدولة العثمانية حروبا من أجل بسط سلطتها و هيمنتها على دول المشرق و توسيع نطاقها الجغرافي ، ابرز هذه الحروب كانت بينها و بين الدولة الصفوية الشيعية في إيران و الحرب ضد بلاد الشام في كلا من سوريا ودولة المماليك في مصر، ومنه فالأمر مختلف بالنسبة ل لبلاد الجزائرية التي لم يجد القراصنة الأتراك صعوبة انطلاقا من استغلال طلب النجدة من بعض الأهالي.

واستغلوا في ذلك وجود ال وجود الاسباني بالمنطقة و التي قامت بشن حملات صليبية واسعة على ا لمغرب الأوسط و احتلت بموجبها العديد من المدن الجزائرية ، الأمر الذي سهل أيضا من تمركز القراصنة الأتراك بالجزائر و السيطرة عليها.

حكم قراصنة الأتراك بطريقة تضمن لهم استمرارية الحكم دون مشاكل أو عقبات ،والسيطرة على كامل البلاد الجزائرية ،حيث أعطوا للجزائر طابعا خاصا يختلف عن باقي الولايات العثمانية في المشرق التي احتلتها الدولة العثمانية ، ولعل بداية الوجود التركي الأول بالمغرب الأوسط و طبيعته و شكله يوضح لنا غزو الأتراك للجزائر و السيطرة عليها ومختلف الأفعال التي قام بها الأهالي كرد فعل على هذا ، وهو محور دراستنا و المعنون ب:"الوجود التركي بالجزائر بين الغزو و المقاومة " ، 1500م إلى 1637م.

أهمية الموضوع:

تكمن أهمية دراسة موضوع "الوجود التركي بالجزائر" إلى الوقوف على مختلف الأحداث و الوقائع التاريخية التي شهدتها منطقة شمال إفريقيا بصفة عامة ، و المغرب الأوسط بصفة خاصة خلال النصف الأول من القرن السادس عشر ميلادي ، إضافة إلى استخلاص الوضعية التي ظل عليها القراصنة الأتراك طيلة حكمهم بالجزائر و مدى تماشيها و الجزائريون ، من خلال ذلك أمكننا بعد ذلك معرفة طبيعة حكم الأتراك بالجزائر إبان الفترة الممتدة من 1518م حتى 1637م ، ومن بين أهمية موضوع الدراسة قبل ذلك وهو معرفة الأحوال العامة بالخصوص الجزائريون و دورهم في مقاومة استئثار الأتراك بالحياة السياسة و الاقتصادية ، و الوقوف على معرفة مدى مساهمة الأهالي الجزائريين من عدمه في هيكلة الإدارة التركية بالجزائر من جهة و العلاقة القائمة بين السكان و الإدارة التركية المحلية من جهة أخرى ،

و كيف ساهم الوجود الاسباني في المنطقة في تدعيم تمركز القراصنة الأتراك في المغرب الأوسط

و استفرادهم بها و سيطرتهم عليها في نهاية الأمر.

أهداف الدراسة:

أما بخصوص الأهداف المراد التوصل إليها من خلال هذه الدراسة يمكن أن نجملها في شكل نقاط:

1- التطرق إلى الوضعية العامة للجزائر و منطقة شمال إفريقيا قبل فترة انتقال الأتراك من المشرق إلى الجنوب الغربي للبحر الأبيض المتوسط ، وممارستهم لنشاط القرصنة فيه.

2- التعرف على مختلف الظروف و الأسباب التي أدت بالأتراك إلى الظهور على مسرح الأحداث في الجزائر ، ومن ثم إلحاقها بالدولة العثمانية سنة 1518م ، ورد فعل الأهلي على دخول الأتراك إلى الجزائر.

3- دور الصراع الإسباني التركي في البحر الأبيض المتوسط في تدعيم الوجود التركي و تمركزهم في الجزائر ن بعد الأحداث التي شهدتها منطقة شمال إفريقيا خاصة بعد سقوط غرناطة في عام 1492م ، ثم التحرشات الإسبانية على المغرب الأوسط ، وتحول الصراع بين الاسبان و الدولة العثمانية في إطار ما يعرف بالقرصنة البحرية.

4- معرفة الظروف التي أدت ببعض سكان المدن الساحلية الجزائرية لطلب النجدة من الأتراك ، وما تم الاتفاق عليه بداية الأمر ، والذي كان القراصنة الأتراك دخلوا الجزائر من منطلقه و هل تمنوا من تحقيق الشرط الأول المتفق عليه يوم طلب النجدة ، وردت فعل الأهالي لاحقا على هذا الوجود التركي.

5- معرفة العلاقة القائمة بين الأهالي الجزائريون ، والإدارة التركية المحلية ، وما طبيعة الذي تتبعه القراصنة الأتراك بالجزائر خلال النصف الأول لهم في الجزائر.

6- الوقوف على حيثيات المشروع التركي المتمثل في غزو مدينة الجزائر ،من خلال استغلال العامل الديني من جهة و النجدة من بعض الأهالي من جهة أخرى ، والسيطرة في الأخير على الجزائر و تحويلها إلى دار للقرصنة بسبب موقعها الإستراتيجي المميز ،وذلك ضمن إستراتيجية الإمبراطورية العثمانية في توسيع نفوذها و استغلال ضعف المنطقة و الصراعات القائم بها من زمن بعيد و محاولة السيطرة عليها.

الإشكالية:

لمعالجة و فهم الموضوع يتوجب علينا أن ننطلق من طرح إشكالية رئيسية منها ننطلق في دراستنا

و مفادها: ما هي حقيقة و طبيعة الوجود التركي في الجزائر؟

ويتفرع عن الإشكالية الرئيسية أسئلة فرعية مفادها البحث في الموضوع و تتمثل في:كيف كانت الأوضاع الداخلية للجزائر قبل دخول الأتراك ؟ وما هي الدوافع التي أدت بهم إلى السيطرة على المنطقة؟ وما هي إستراتيجيتهم المتبعة في تثبيت حكمهم بالجزائر؟

المنهج المتبع:

أما المنهج المتبع لدراسة و فهم أحداث الموضوع فتمثل في المنهج التاريخي بالإعتماد على الوصف ، وذلك لتماشيه و طبيعة البحث الذي يستوجب وصف الأحداث التاريخية المتعلقة بالفترة المدروسة ، مع استخدام التحليل و التعليل كأدوات لفهم الظاهرة المدروسة.

الدراسات السابقة:

لقد تناول موضوع الوجود التركي في الجزائر في العديد من الدراسات السابقة التي تناولت الموضوع لكن من جهات متباينة ،ومن بين هذه الدراسات نجد مذكرة ليسانس لطالبين فاتح بن سالم و ملخوف عزيز بعنوان الوجود العثماني في الجزائر إذ عالجا الموضوع انطلاقا من دراسة أوضاع الجزائر قبل مجيئ العثمانيين ومن ثم تناولا مختلف الدوافع التي أدت بالأتراك إلى دخول الجزائر ،إضافة إلى تناولهم لأطوار الحكم العثماني بالجزائر إضافة إلى النظام الإداري الذي أسسه الأتراك بالجزائر ،لكن لم يقوما بالتطرق إلى مسألة حقيقة و طبيعة الوجود العثماني بالجزائر إضافة إلى عدم ذكرهم لمختلف المقاومات و الثورات التي قامت ضد الأتراك ، كما نجد رسالة دكتوراه لجميلة معاشي بعنوان "الانكشارية و المجتمع ببايلك قسنطينة نهاية العهد العثماني ،إذ تناولت فيه الباحثة التعريف بالجيش الإنكشاري من ناحية تطورهم و طريقة تجنيدهم و جلبهم إلى الجزائر مع ذكر الامتيازات و الشروط المفروضة عليهم ، علاوة على ذكر طبائع الإنكشارية التي ضاق منها سكان قسنطينة كالسرقة و السطو على أعراض الناس ، إلا أنها لم تتطرق إلى تمرد الإنكشارية في محاولة للسطو على الحكم بالجزائر و قيادتها و السيطرة عليها ضد طائفة رياس البحر كما لم تتطرق إلى طبيعة الوجود التركي بالجزائر من خلال دراسة ممارسات و أعمال الإنكشارية ببايلك قسنطينة باعتبار أن نواة الحكم التركي بالجزائر استندت على المؤسسة العسكرية المغلقة على نفسها منذ بداية الوجود التركي بالجزائر.

كما نجد الأستاذ ناصر الدين سعيدوني في كتابه الجزائر منطلقات وآفاق قد تناول مسألة السيادة الجزائرية في العهد التركي ،إذ قام بإبراز العامل الديني الذي استند إليه الأتراك في وجودهم بالجزائر كما تناول كيف أعطى هذا العامل من شرعية للحكم العثماني بالجزائر ثم تناول بعدها الجانب الآخر المعادي للوجود التركي في الجزائر و الذي يقر يغزو القراصنة الأتراك للجزائر مستندا في ذلك إلى مجموعة من المؤلفات الأوربية كالمجلة الإفريقية في 1833م ، ثم حاول في الأخر التعقيب على الوجهتين إلا أنه لم يتطرق في ذلك إلى حقيقة الوجود التركي بالجزائر و طبيعته.

و سنحاول في موضوعنا هذا الابتعاد عن تكرار المادة التاريخية الكلاسيكية المتعارف عليها ، وتسليط الضوء على المقاومة الجزائرية لنفوذ الأتراك الذين سيطروا على كل مقاليد السلطة بالجزائر ، مع محاولة الوصول إلى طبيعة هذا الوجود التركي هل هو غزو أم استنجاد

الصعوبات:

من الصعوبات التي واجهتنا في دراسة هذا الموضوع هو عدم إنصاف المراجع للمقاومة الجزائرية ضد الغزو التركي ،لأن معظم مصادر الفترة كتبت بأقلام مؤيدة للأتراك كون التاريخ يكتبه المنتصرون ،و أن مجمل الأحداث كتبت من خلال التاريخ الرسمي للدولة العثمانية ، بل و حاولت بعض المصادر و المراجع تشويه صورة القادة المقاومين للغزو التركي ، ووصفهم بالتمرد و الخيانة.

خطة البحث:

لمعالجة هذا الموضوع كان لزاما علينا أن نعتمد على خطة تعتبر نواة هذه الدراسة ، وقد قسمنا الموضوع إلى ثلاث فصول رئيسية ، فالفصل الأول بعنوان "أوضاع الجزائر قبيل 1500م" ، و تم الحديث فيه عن الأوضاع السياسية و الاجتماعية و الاقتصادية للجزائر خلال الفترة التي سبقت الغزو التركي ، إضافة إلى العلاقة الخارجية التي ربطت الجزائر بجيرانها كلا من تونس و المغرب ، وما نتج عن هذه العلاقة المتوترة نهاية القرن الخامس عشر ميلادي.

أما الفصل الثاني فكان بعنوان "الصراع الإسباني التركي في الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط" ، وتم التطرق فيه إلى مختلف الأسباب و الظروف السياسية و حتى الدينية التي أدت إلى انتقال الصراع بين الإسبان و الأتراك في الحوض الغربي للمتوسط ، واحتلال إسبانيا للموانئ و المدن الجزائرية ما عجل بظهور الأتراك على مسرح الأحداث ومنه بداية الغزو التركي للجزائر.

وجاء الفصل الثالث بعنوان "ا لانتفاضات الجزائرية و طبيعة العلاقة التركية" ، وتمت فيه معالجة ردود فعل الجزائريين و موقفهم من دخول الأتراك ومن ثم إلحاق الجزائر بالإمبراطورية العثمانية من خلال المقاومة الوطنية التي قامت ضدهم ، ثم عرجنا لطبيعة العلاقة التي ربطت الجزائريين بالإدارة التركية المحلية ، وأخيرا تناولنا في مبحث طبيعة الوجود التركي و غزو وسيطرته على الجزائر ، ثم خاتمة ضمت مختلف النتائج المتوصل إليها من خلال دراسة الموضوع و مجموعة من الملاحق التي لها صلة و علاقة بالحث ،إضافة إلى فهارس للأعلام و الأماكن و الجماعات ، وفهرس للموضوعات.

المصادر و المراجع

من ابرز المصادر المعتمدة في دراستنا و التي تحدثت بإسهاب على حقيقة الوجود التركي بالجزائر الساعي إلى بسط نفوذه عليها نجد مصدر" طلوع سعد السعود" للمؤلف الآغا بن عودة المزاري ، والذي أفاد في إعطاء صورة عن شخصية خير الدين الدينية إضافة إلى الوصف الدقيق لأحداث القرصنة العثمانية في البحر الأبيض المتوسط مطلع القرن السادس عشر و حروبها مع الدول الإسبانية خاصة في مسألة استرجاع المدن التي احتلها الإسبان قبلهم ، كما نجد مصدرا آخر للمؤلف فراي ديغو هايدو تحت عنوان "تاريخ ملوك الجزائر" حيث وصف لنا مختلف الأحداث التي أدت بالعثمانيين إلى دخول الجزائر، والمؤامرات المدبرة من قبلهم للسيطرة على الجزائر ،إضافة إلى صراعات الأتراك مع الأعيان و القادة المحليين الذين واجهوهم وتمردوا عليهم، وحتى الصراع كما كان بين الإنكشاريين و طائفة رياس البحر و حتى بينهم و بين الكراغلة ، إلا أن فراي ديغو هايدو كان أسيرا لدى الأتراك ومن هذا المنطلق فإن الكاتب ومن حقده على الأتراك فإنه يبالغ أحيانا في وصف بعض الأحداث ، كما اعتمد على مصطلحات على تحمل نوعا من الصعوبة إضافة إلى قدمها مثل كلمة "فرسخ" ، وهناك مصدر لمجهول بعنوان "غزوات عروج وخير الدين" هذا المصدر قدم صورة دقيقة عن أحداث دخول الأتراك إلى الجزائر و ما أعقب ذلك من التنظيمات التي أقاموها بالجزائر بداية من عروج و قبل انضمام الجزائر إلى الدولة العثمانية إلى غاية الإلحاق و ما أعقب ذلك من تنظيمات أخرى لتحصين الجزائر و إقامة دار للقرصنة بها ، إلا أن هذا المصدر و بالرغم من الأهمية التي يحملها في دراسة موضوع الوجو د التركي بالجزائر إلا أنه يؤخذ بحذر لأن مؤلفه مجهول ،بالإضافة إلى أن من قام بتأليفه قام بتأليف لعروج إذ يتضح ذلك من خلال انحيازه لعروج ومدحه في العديد من صفحات الكتاب ، بالإضافة إلى أن لغة هذا المصدر صعبة إذ أورد فيه المؤلف بعض المصطلحات التركية.

أما بخصوص ابرز المراجع المعتمدة في دراستنا مرجع للمؤلف كورين شوفالييه بعنوان "الثلاثون سنة الأولى من قيام دولة مدينة الجزائر" ،حيث أعطى حقائق و نتائج عن الأتراك بالجزائر وحقيقة الغزو، فقد صور لنا الصراع القائم بين الأتراك العثمانيون و الأسبان ، وحتى الأتراك فيما بينهم من أجل السيطرة على الجزائر ،كما نجد كورين شوفالييه في وصفه لبعض الوقائع التي تعتبر محل اختلاف بين المؤرخين يستند إلى كتاب المؤلف الاسباني فراي دغو هايدو من أجل الوصول إلى حقيقة الأحداث و تقيدها بعد ذلك ،كما أن لغة الكتاب بسيطة و سهلة التناول ، وهناك مرجع آخر لل مؤلف ناصر الدين سعيدوني بعنوان "الجزائر منطلقات و آفاق

"حيث تناول فيه مجموعة من القضايا المتعلقة بالجزائر و في فترات مختلفة و من بين هذه القضايا عالج موضوع العلاقة القائمة بين الجزائريين و القراصنة الأتراك في الجزائر معطيا بذلك صورة حقيقة لهذه العلاقة و طبيعتها و العوامل المؤثرة عليها طيلة حكم الأتراك بالجزائر ، إضافة إلى ذكر مختلف ممارسات الحكام الأتراك بالجزائر و على الأهالي بالخصوص و رد فعل الجزائريين على ذلك ، ومؤلف "حرب 300 سنة بين الجزائر و إسبانيا" لأحمد توفيق المدني ،حيث وصف فيه الكاتب و بالتحليل مختلف ظروف و أسباب الصراع بين الإسبان و الأتراك في البحر الأبيض المتوسط ، كما قام بذكر النتائج التي ترسبت عن ذلك و مختلف الناطق التي تم احتلالها من قبل الإسبان و دور ذلك في دخول الأتراك إلى الجزائر.

وفي الأخير نتقدم بالشكر إلى كل من ساهم في انجاز هذا البحث و خاصة لجنة القراءة التي ستتكفل بتصحيحه.

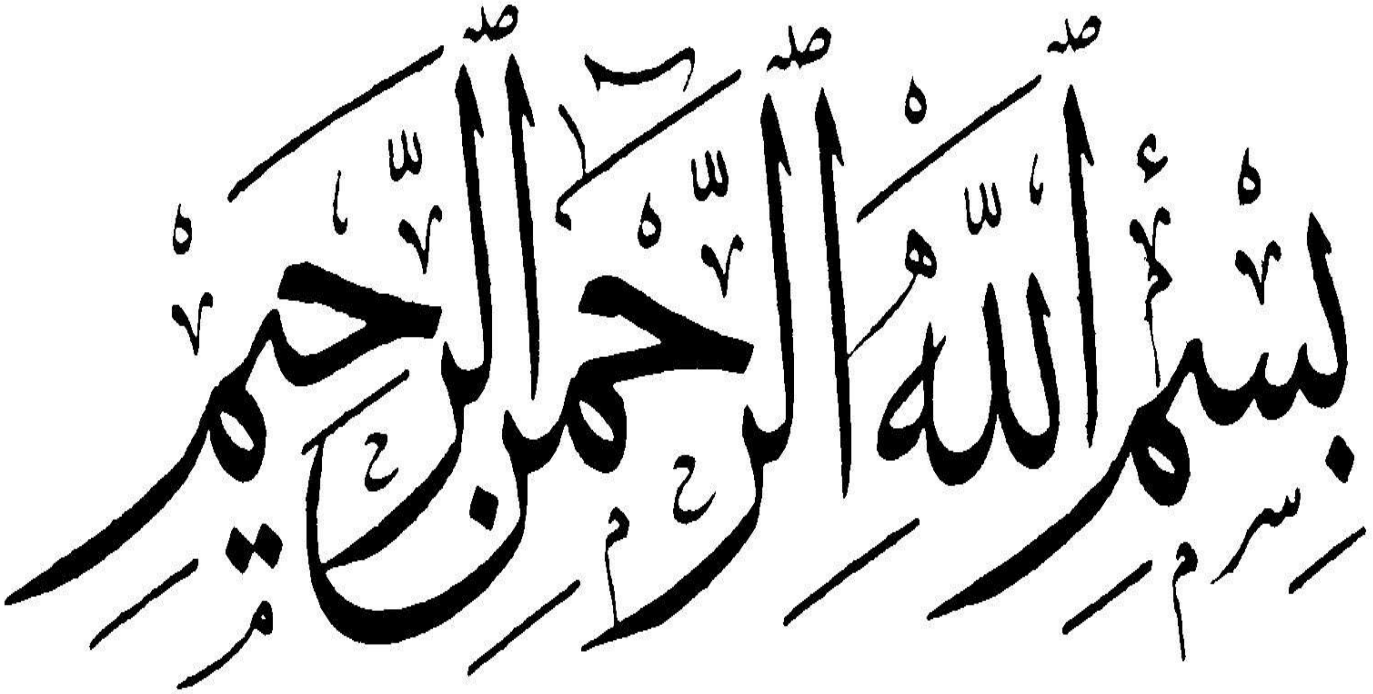
بسم الله الرحمن الرحيم

مدخل اصطلاحي:

1 -مفهوم القرصنة:

هي نوع من أنواع الحروب البحرية التي تقع بين الدول المعادية والتي كانت الغاية منها ضرب اقتصاديات العدو, بالاستيلاء على البضائع الصادرة منه أو الواردة إليه، وأسر من يعمل فوق ظهر تلك السفن، هذه القرصنة ذات نظم وقوانين ولها تقاليد معروفة، لا تحيد الدول، ولا يحيد القراصنة عنها.[1]

أما القرصنة بالمفهوم المسيحي : فهي تعني أن القرصان يكون حرا في النهب ،ولا يعترف بأي سلطة فوق إرادته الخاصة فقد كان يهاجم بدون تمييز سفن أي دولة .

والقرصان لفظ مشتق من المصطلح اللاتيني "كورسارو" والذي كان يطلق في الأصل على كل سفينة مسلحة رخص لملاحيها بأن يجوبوا البحار،ويقاتلوا سفن الأعداء.

تطور مفهوم القرصنة لدى الطرف المسيحي ليتحدد في مجموعة من المعاني والألفاظ تدخل في دائرة النهب البحري ،النشاط القرصاني ،والقرصنة البربرية الإسلامية التي كانت كرد فعل ضد التحرشات الأوروبية الصليبية على سواحل المغرب الإسلامي.[2]

2 -الجهاد البحري الإسلامي:

مصطلح مرادف وبديل عن القرصنة، يطلقه بعض المؤرخين المسلمين، ويقصدون به العمليات التي قام بها المسلمون ضد السواحل او سفن الدول الأوروبية المعادية لها من القرن السادس عشر إلى أواخر القرن

[1] توفيق المدني، حرب الثلاث مائة سنة 1492-1792،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،الجزائر،ص72.

[2] جمال الدين سهيل ،<<ملامح من شخصية الجزائر خلال القرن السابع عشر>>، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، ب.د، عدد13، 2010، ص ص142-143.

التاسع عشر في منطقة غرب المتوسط وعلى طول سواحل المحيط الأطلسي الأوروبية والإفريقية .وكانت قواعد انطلاقهم معاقل منتشرة على طول سواحل إفريقيا ومن أشهر مجاهدي البحر الإخوة بربروسا.[1]

3 -الغزو:

لغة غزاه،غزوا بالفتح؛ أراده او طلبه ،وغزاه غزوا قصده كغازه أي قصده نقله ابن سيده.

وغزا العدو يغزوهم:سارا إلى قتالهم ونهبهم ،وقال الراغب خرج إلى محاربتهم غزوا.[2]

والغزو يعني قدرة جيش أجنبي على احتلال بلد ما وفرض السيطرة الأمنية وشبه الأمنية عليه ،فقد يقترن باستتباب الأمن وعدم حصول مقاومة مسلحة ذات شأن.[3]

او هو تأثير الطرف الأقوى على الطرف الأضعف وإخضاعه لسلطته الكاملة أوالمطلقة.

4-الخلافة :

من أنظمة الحكم الإسلامي، ظهرت بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم ، استمدت أصلها ومعناها من نص القران الكريم وقد تشتمل على مفهومين:

الأول: ديني بمعنى استخلاف الإنسان على الأرض من اجل إعمارها خدمة للإنسانية نيابة عن الله سبحانه وتعالى وهذا ما أكدته بعض الآيات كقوله تعالى : { وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً}.[4]

---

[11] http//wikimedia-dz.org.

[2] محمد مرتضي الحسيني الزبيدي،تاج العروس من جواهر القاموس ،ج39،ط1،تر:عبد المجيد قطامش،مؤسسة الكويت للتقدم العلمي،الكويت ،2001،ص158.

[3] http ://Ar.wikipedia.org. "مادة غزو"

[4] سورة البقرة ،الآية 30.

والثاني سياسي إداري للدلالة على وظيفة محددة ،يقوم بها الحاكم في الدولة الإسلامية، يعتبر شاغلها أمير المؤمنين بالمشورة والاختيار.

أول من تولاها ،أبو بكر الصديق بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم سنة 634م ، ومن شروطها :العلم، العدالة،الكفاية ، وصحة البدن والعقل ،استمر اختيار الخلفاء وفق هذه الشروط طيلة العصر الراشدي ،غير أن تحولا ملموسا طرأ عليها بدءا من العصر ال عباسي حيث تحولت الخلافة إلى نظام ملكي قائم على الغلبة والميراث .

من هنا جاء تعريف الخلافة الراشدية أنها خلافة اختيار ، بينما هي عند الأمويين ومن جاء بعدهم خلافة قهرية ،وقد استمرت كذلك حتى نهاية العصر العثماني حيث الغي نظام الخلافة بقيام الجمهورية التركية سنة 1923م[1]

[1] مصطفى عبد الكريم الخطيب، معجم المصطلحات والألقاب التاريخية، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1996،ص ص164-165.

الفصل الأول: أوضاع المغرب الأوسط قبيل 1500م

المبحث الأول: الأوضاع الداخلية

المبحث الثاني: العلاقات الخارجية

المبحث الثالث: نتائج الصراع بين مماليك شمال إفريقيا خلال القرن15وبداية القرن16م

الفصل الأول : أوضاع المغرب الأوسط قبيل 1500م :

انهارت دولة الموحدين البربرية الزناتية في الأندلس عقب معركة حصن العقاب ، ومنذ ذلك هوى سلطانهم في شمال إفريقيا, فظهرت دويلات متنافسة فيما بينها تطالب بأحقيتها في وراثة الدولة, وكانت أضعافها مملكة بني عبد الواد التي تمركزت في الجزائر, فما هي أوضاعها الداخلية سياسيا وثقافيا واقتصاديا واجتماعيا قبيل1500م؟ وما هي علاقاتها الخارجية مع جيرانها الحفصيين في تونس والمرينين في المغرب الأقصى ؟

المبحث الأول: الأوضاع الداخلية:

تميزت أوضاع المغرب الأوسط بالانهيار المطلق على المستويات السياسية والثقافية والاجتماعية بسبب تدهور السلطة المركزية وعدم قدرتها على ضبط القبائل المختلفة بالمنطقة ويمطن أن نجمل تلك الأوضاع في:

1-الأوضاع السياسية:

أدى ضعف الدولة الموحدية إلى تمزق الإمبراطورية فسقطت بلاد الأندلس في يد الإسبان, و لم يتبق سوى إمارة بني الأحمر بغرناطة في أقصى جنوب إسبانيا, أما الشمال الإفريقي فقد ظهرت به ثلاث ممالك أمازيغية ظلت تتنازع على السلطة فيما بينها وهذه الدول هي :

الدولة الحفصية : في المغرب الأدنى [1].

الدولة الزيانية : في المغرب الأوسط [2].

الدولة المرينية : في المغرب الأقصى[3].

كان الزيانيون الحلفاء الطبيعيون للموحدين ، الذين سيطروا على شمال إفريقيا، ومكافأة لهم منحوا منطقة تلمسان ليديروها، على أن يكونوا خاضعين لسلطتهم [1]. إلا أن الوضع تغير يوم ضعفت دولة الموحدين وسقطت، حيث استقلت دولة بني عبد الواد في الجزائر .

[1]- الدولة الحفصية حكمت بين 1226و 1568م.

[2]- الدولة الزيانية حكمت بين 1235و1554م.

[3]- الدولة المرينية حكمت بين 1244و1465م.

نجحت دولة تلمسان في الدفاع عن نفسها في الوقت الذي دمرت فيه المدن المجاورة لها[2]. ولا يرجع ذلك إلى مهارة مؤسسيها بقدر ما يرجع إلى موقع تلمسان وطول تاريخ بني عبد الواد إلى حوالي ثلاث قرون, ولا يرجع كذلك إلى صلابة بنيان الأسرة التي أقامت الدولة ومن أيدها من القبائل الزيانية, و إنما يرجع إلى حصانة تلمسان وقدرة هذا الموقع على مقاومة عوامل الانهيار[3].

وأول حكام هذه الدولة هو يغمرا سن بن زيان بن ثابت, استقل بها فاستاء خليفة الموحدين أبو الحسن السعدي وخرج لقتال يغمرا سن فقتل السعدي وأدى ذلك إلى تثبيت أركان دولة بني عبد الواد التي عرفت في عهد السلطان أبي حمو الثاني باسم الدولة الزيانية[4].

واستطاعت الدولة أن تباشر سلطتها من تلمسان التي أصبحت قاعدة للجزائر وتلقب سلاطينها بلقب أمير المسلمين و لم يثبت عنهم دعوة الخلافة[5].

تولى الحكم أبو سعيد عثمان بعد يغمرا سن الذي سالم الحفصيين شرقا والمرينين غربا, لكنه تفرغ لفرض سيطرته على الدويلات الصغيرة الموجودة بالجزائر خاصة دولة مغراوة[6].

وبعد وفاة أبو زيان الأول, قام السلطان أبو حمو الأول باستعادة جميع المناطق التي احتلها خصوم الدولة الزيانية, وجاء بعده أبو تاشفين الذي فتح مدينة بجاية سنة 1338م .

واستعان الحفصيون بالمرينيين لاسترداد نفوذهم في شرق الم غرب الأوسط , وعندما رفض أبو تاشفين الوساطة من بالمرينيين هاجمه أبو الحسن ابن أبي سعيد الذي احتل تلمسان وقتل أبو تاشفين في 2 ماي1337م.[7]

---

[1]– عمار بوحوش،التاريخ السياسي للجزائر من البداية وحتى1962، ط1، دار الغرب الإسلامي ،بيروت، 1997، ص52.

[2]– كليل صالح، سياسة خير الدين في مواجهة المشروع الاسباني لاحتلال المغرب الأوسط، إشراف: علي اجقو، مذكرة لنيل شهادة الماجستير،تخصص حديث ومعاصر،قسم التاريخ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية،جامعة العقيد لخضر باتنة، 2006-2007، ص7.

[3]– ابن الأحمر، تاريخ الدولة الزيانية، ط1، تر:هاني سلامة، مكتبة الثقافة الدينية، بورسعيد،2001، ص15.

[4] – شوقي الجمل، المغرب العربي الكبير, مكتبة الانجلو المصرية, القاهرة, ص 33 .

[5]– شوقي الجمل، المرجع نفسه , ص 33 .

[6]– عمار بوحوش، المرجع السابق, ص 46 .

[7] – عمار عمورة، الجزائر بوابة التاريخ، الجزء الثاني، دار المعرفة، الجزائر، 2006،ص 40 .

جاء أبو حمو الثاني الذي استعاد تلمسان بمساعدة الحفصيين في 7 فيفري 1359م, إلا أنه لم يوطد أقدامه بسبب الاضطرابات التي قامت في البلاد, نتيجة لإجبار الأهالي على دفع الضرائب.[1]

استفاد الثعالبة [2] من ذلك على حد قول ابن خلدون " إن موطنهم لهذا العهد بمتيجة من بسط الجزائر وكانوا قبل ذلك بالتيطري, نزلوا به منذ عصور قديمة وأقاموا به حيا حلولا, ولما تغلب بنو توجين على الثلول وملكوا الونشريس زحف محمد بن عبد الفوري إلى المدينة فملكها وأزاح الثعالبة إلى متيجة, فلما تغلب بنو مرين على المغرب الأوسط وذهب ملك مليكش استبد الثعالبة وملكوا متيجة وكانت رئاستهم في ولد سباع ابن ثعلبة ابن علي ." [3]

قام أبو حمو الثاني بقمع الثورات ومقاومة الذين ادعوا من العرب وبنو مرين, وإحباط مناورات ابنه ومؤامراته .[4] ووصلت ثقته بنفسه أن قام بالتفكير في نقل عاصمته إلى الجزائر سنة 1378م , لكنه تراجع تراجع عن فكرته وعدل عن رأيه وذلك نتيجة للضغط المريني وتخلي وزيره عنه. [5]

2-الأوضاع الثقافية والاجتماعية :

حرص عدد كبير من أمراء بني عبد الواد على مجالسة العلماء والشعراء و غيرهم واشتهرت تلمسان بأنها مدينة ثقافية وأكد ابن خلدون الذي عاش فيها طويلا, إذ نشأ بها العلماء واشتهر فيها الإعلام وضاهت الدول الإسلامية الأخرى, وكانت تلمسان مركزا للدراسات الدينية، واشتهرت مدارسها الخمس على نطاق واسع وهي متشبعة في أعماقها بذلك التصوف الشرفي الذي سيكتب لها النصر كرد

[1] – عمار عمورة ، المرجع السابق , ص 41 .

[2] – اختلف في أصولهم فقيل أنهم قبيلة تنتمي أصولها إلى عرب المعقل ،وذهبت أكثر الروايات أن أصولهم امازيغية من قبائل صنهاجة عمرت المنطقة وتقدموا نحو المتيجة في القرن14م.

[3]– ابن خلدون، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ج7، مراجعة: سهيل زكار، دار الفكر، لبنان، 2000، ص156.

[4] شارل أندري حوليان، تاريخ إفريقيا الشمالية، تونس،الجزائر، المغرب الأقصى من الفتح الإسلامي إلى سنة1830م، ج2، ترجمة: مزالي محمد وبن سلامة البشير، الدار التونسية، تونس، ص206.

[5]– ابن الأحمر، المرجع السابق، ص 35.

فعل اتجاه الغزو الأجنبي, ولا تزال بعض منشآت بني عبد الواد باقية فقد أعاد يغمرا سن بناء صومعة مسجد تلمسان .[1]

يعود سبب ازدهار الفكر والثقافة يتلمسان خلال هذه الفترة إلى عدة عوامل منها :

- موقعها الجميل بين الشرق والغرب الأندلسي والشمال التلي والجنوب الصحراوي, فهي نقطة مواصلات لطرق القوافل التجارية بين التل والصحراء, وتزود الجنوب ببضائع الشمال المختلفة الزراعية والحيوانية منها وكذا الصناعية, وتستورد البضائع المختلفة من الصحراء خاصة الصوف والجلود وتبر الذهب والعبيد, السمن والملح وبعض الأدوات الجلدية .[2]

- محطة أنظار العلماء والمفكرين وطلاب العلم والمعرفة التي يقدمون إليها من الغرب الأندلسي ومن الشرق للتعليم أو التعلم في مدارسها الناهضة ومساجدها الجامعة .[3]

فبفضل الموقع الاستراتيجي والهام لمدينة تلمسان ومدارسها التي أنشئت في القرن 14م استقطبت عددا كبيرا من عملاقة الفكر والأدب , ونجد من هؤلاء "أبو جعفر الداودي" , "أبو الحسن علي ابن قنون" , "ابن يخلف التنسي", "محمد ابن مرزوق القيرواني" و "أبو عبد الله محمد التميمي", وغيرهم .[4]

أما فيما يخص عناصر المجتمع التلمساني فيتكون من :

1 ــ الأمازيغ : شكلوا أهم عنصر سكاني داخل تلمسان ومحيطها ,حيث انتشرت القبائل الأمازيغية على طول منطقة شمال إفريقيا، ويعود أصلهم إلى قبائل متعددة منها قبائل زناته , قبائل مغراوة , قبائل يفرن, واسين, راشد وقبائل توجين وغيرهم من القبائل البربرية التي كانت تجوب المنطقة حيث أصول بني عبد الواد نفسها بربرية.[5]

2 ــ العرب : مع ظهور الدولة الزيانية كان بعض القبائل العربية منتشرة في محيط تلمسان , وينقسم العرب إلى :

---

[1] – شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ص209.

[2] – يحى بوعزيز، تلمسان عاصمة المغرب الأوسط، ،وزارة الثقافة، الجزائر، 2007ن ص07

[3] – المرجع نفسه ،ص07.

[4] – نفسه، ص 8.

[5] – بسام كامل وعبد الرزاق شقدان، تلمسان في العهد الزياني 1235-1555م، رسالة ماجستير، كلية الدراسات العليا، نابلس،فلسطين، 2002، ص153.

- العرب الأوائل (عرب الفتح) : وتشمل العرب القادمين من شبه الجزيرة العربية من القيسية واليمنية والأمويين الذين قدموا لإخضاع شمال إفريقيا.
- العرب الهلالية: كبنو سليم وبنو رياح .[1]

3 ــ الأندلسيون : ازداد هذا العنصر في تلمسان و المغرب الأوسط و باقي حواضر المغرب مع زيادة هجرة الأندلسيين, و خاصة بعد سقوط المدن الأندلسية بيد النصارى و قد أطلق لقب الحضر على امتزاج الأندلسيين مع التلمسانيين الذين ظهر جيل العلماء و الفنانين و الفلاحين و الصناع و التجار , هاجر هؤلاء إلى تلمسان لأنها تشبه موطنهم الأم في مياهها و بساتينها .[2]

4 ــ الأوربيون : يمثل الأوربيون داخل تلمسان بثلاث أشكال :

أ-الشكل الأول (عسكري): فقد وجدت فرق عسكرية داخل الجيش الزياني بعد أن كانت في الجيش الموحدي واستمروا على رتبهم وشكلوا فرقة للسلطان الزياني .

ب-الشكل الثاني (تجاري): بسبب موقع تلمسان وعلاقاتها مع أوروبا وبلاد السودان كان يرتاد إليها عدد من التجار الأوروبيون للإشراف على تجارتهم .

ج- الشكل الثالث: تمثل في عمل الأوربيون داخل القصر الزياني كحرس للسلطان والأمراء وكخدم لقصر السلطان .[3]

3-الأوضاع الاقتصادية:

اعتمد الاقتصاد الزياني على النشاط الزراعي , ومنه فإن الأراضي الزراعية كانت على أنواع :

* أراضي الإقطاع : وهي أراضي ملك للدولة ولا يحق التصرف فيها إلا من قبل السلطان يجيزُ إقطاعها لمن يشاء من خلال تفويض السلطة لشخص أو لجماعة على رقعة محددة .

---

[1] -المرجع نفسه، ص 181.

[2] - بسام كامل، لمرجع السابق، ص 165.

[3] - المرجع نفسه، ص 167.

[3] --فؤاد طوهارة، النشاط الاقتصادي في تلمسان خلال العهد الزياني ق13-ق15، مجلة جيل العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد الثاني، ص 71.

* أراضي الظهير : ويطلق عليها اسم المزية الجبائية والعقارية , حيث ترخص الدولة للمنتفعين استخلاص الضرائب الموظفة على السكان المستقرين لفائدتهم , وأحيانا الضرائب الموظفة على قبائل الأعراب الرحل إلا ضعفا منهم , وأحيانا على أراضي المراعي والصنعات الزراعية .

* أراضي الأوقاف : فهي التي تنازل عنها صاحبها أو السلطان إذا كان الأمر يتعلق بأراضي الدولة فعليا وهو لا يزال على قيد الحياة.

*ـــ أراضي الأموات : وهي الأراضي البور التي يقتطعها السلطان لمن يحييها وزرعها لعامة المسلمين فتصبح ملكا له ولا يجوز له بيعها[1].

إن الأوضاع الداخلية في تلمسان خلال العهد الزياني تميزت بالصراع العائلي على العرش, مما أدى إلى ضعف وتزايد الأطماع الخارجية حولها, كما سعى الحكام المحليون إلى السيطرة على باقي الدويلات الواقعة بالجزائر, أما الحديث عن الجانب الثقافي والاقتصادي معا بالجزائر إبان هذه الفترة, فإنه يصور لنا تطور فكري وعلمي واقتصادي بالمنطقة وذلك تبعا لمجموع الظروف التي هيأت للجزائر البروز كمشعل ثقافي على غرار باقي الحواضر الإسلامية الكبرى , ساهم في ذلك التركيبة السكانية المتكونة من مجموعة من العناصر المختلفة كل على حسب انحداره .

المبحث الثاني : علاقات الجزائر الخارجية (مع تونس و المغرب) :

إن الجزائر باعتبارها كيان سياسي ضمن دول شمال إفريقيا , فقد ارتبطت بذلك بمجموعة من العلاقات الخارجية مع دول الجوار " تونس والمغرب " , بحكم الجوار من جهة, والتنافس والصراعات الطويلة بينهم من جهة أخرى وهو ما طبع علاقة الجزائر مع هذه الدول بطابع العداء واستمرارية الحروب والمعارك بينهم .

بقي المرينيون يسيطرون على تلمسان منذ أن احتلوها عام 1337م, إلى أن نكب سلطانه أبو الحسن قرب القيروان على يد عرب بني هلال وبني سليم عام 1348م .[2] وانضمت إلى أميرين من بني زيان هما أبو ثابت وأبو سعيد فدخل تلمسان بدون مشقة ولكن نجاحهما لم يدم طويلا , فقد دحر جيش

[1] –فؤاد طوهارة، المرجع السابق، ص71.

[2] – يحي بوعزيز، الموجز في تاريخ الجزائر, ج 1, ط2, ديوان المطبوعات الجامعية, الجزائر، 2009 , ص- ص 226 – 227

مريني عتيد كتائب أبي الحسن العربية الزناتية في واد الشلف عام 1352م, ووقع أبو سعيد في الأسر فأعدم مع أبي ثابت الذي سلمه والي بجاية إلى أعدائه .[1]

في سنة 1357م جهز أبو حمو الثاني جيشا من تونس والجزائر وفتح تلمسان وأخرج منها المرينيين وأعادها إلى أسرته و لم تسمى الدولة حينذاك بدولة بني عبد الواد بل تسمت باسم دولة بنو زيان[2].

ووقعت اضطرابات داخلية أثناء حكمه أدت إلى إشعال نار الثورة بين أبي حمو وأخيه الأمير أبو زيان فاستغل الملك المريني أبو فارس العزيز هذه الفرصة واستولى على تلمسان فخرج أبو حمو منها لاسترجاع قواته و لم يعد إليها إلا بوفاة أبي فارس, وعاد التراع من جديد حول العرش بين أبي تاشفين وأخيه أبو زيان حاكم مدينة الجزائر كانت نتيجته مقتل أبي تاشفين فاستغل المنتصر المريني هذا الوضع واحتل تلمسان والمناطق الشرقية لها, ومن يومها أصبح المرينيون يتدخلون في الشؤون السياسية للدولة الزيانية, يولون من يرغبون فيه ويخلعون من لا يتماشى و مصلحتهم حتى ضعف الدولة المرينية[3].

لم تتخلص تلمسان من التهديد المريني حتى أواخر القرن 15م إذ نجح السلطان أبو مالك عبد الواحد 1411م ــ 1440م في مطاردة المرينيين حتى فاس واستطاع مد سلطته إلى غاية وهران حيث كان ميناءها متنفسا لهم , كما قام بتوسيع تبادلاته التجارية مع مختلف الدول الأوروبية وقبائل الصحراء[4].

وقد اتبع الحفصيون نفس النهج المريني من خلال إشعال التسابق والمنافسة بين أفراد الأسرة الزيانية على الحكم, ونتج عن ذلك انتشار الفوضى وتوالي الحكام إلا أن فترة حكمهم لم تكون طويلة كل ذلك أدى إلى إفلات معظم المغرب الوسط من قبضته لما استقلت المناطق الواقعة بين المملكة الزيانية الحفصية أصبحت قسنطينة تحت حاكم حفصي[5].

---

[1] – شارل أندري جوليان, المرجع السابق, ص 206 .

[2] – شوقي ضيف ، عصر الدول والإمارات الجزائر ــ المغرب الأقصى ــ موريتانيا ــ السودن , دار المعارف, القاهرة, الطبعة الأولى, ص- ص 42 – 43 .

[3] – عمار عمورة ، موجز في تاريخ الجزائر, الطبعة الأولى , دار الرحالة الجزائر، 2000، ص 82 .

[4] – صالح كليل , المرجع السابق , ص 9 .

[5] – محمود السيد، تاريخ دول المغرب العربي , مؤسسة الشباب الجامعية , مصر , 2000 , ص 129.

كما قام أبو حمو الثاني بحركة توسعية وكان ذلك على حساب الدولة الحفصية, فحاول الاستيلاء على بجاية[1], إلا أن ارتفاع عدد الثوار وكثرتهم إضافة إلى ضعف القيادة العسكرية, أديا إلى إلحاق الهزيمة به في بجاية[2].وفي سنة 1355م تمكن السلطان الحفصي أبو عنان من أخذ مدينة بجاية من أيدي الموحدي ن, وقام بعدها بتوجيه صاحبها الأمير أبا عبد الله إلى مدينة فاس سنة 1356م .[3]

استطاع الحفصيون أن يعودوا إلى حكم تونس لدى انسحاب المرينيين وبزغت مرحلة جديدة من الاستقرار النسبي في ولاية أبي العباس أحمد المعروف بالمستنصر, واستطاع أن يقف أمامه هجوم المسيحيين على المهدية وذلك سنة 1390م, فهزموهم واستعادت الدولة الحفصية شيئا من هيبتها, وتمكن إبنه أبو فارس من الاستيلاء على تلمسان واستقام له ذلك بفضل ما وفره لحكومته من قوة أن يخضع لسلطانه الواحدة بعد الأخرى الإمارات الواقعة بجنوب البلاد والتي كانت أن تكون مستقلة بعد أن اضطر أبوه إلى غض النظر عنها كبسكرة سنة 1402م ونجح حتى في الاستيلاء على مدينة الجزائر في 1410م أو 1411م .[4]

هاجم السلطان الحفصي أبو فارس تلمسان ودخلها عام 1424م, ثم نصب عليها أمير زياني مواليا له, لكن هذا الأخير بمجرد أن وطد أمره بتلمسان رفض السيادة الحفصية .[5]

وفي بجاية دون سواها عين السلطان واليا عليها بعد استرجاعها من أبي الحسن في 1439م, وإثر وفاة عبد المؤمن بعد ذلك بثلاث سنوات والتي جرت بين شيخ بن سلين وحليف أبي الحس ن, وعوضه أخوه أبو محمد عبد الملك , ولا شك أن السلطان كان يرمي بذلك إلى ترضية أهالي بجاية المتمسكين بذاتيتهم .[6]

---

[1] – خير الدين الزراكشي ، تاريخ الدولتين الموحدية الحفصية , تحقيق : محمد مهدور, المكتبة العتيقة , تونس, الطبعة الثالثة, 1966 , ص- ص 112 - 113.

[2] – مختار حساني، تاريخ الدولة الزيانية, ج1، منشورات الحضارة , الجزائر, 2009 ، ص 14.

[3] – أبو عبد الله محمد بن أحمد بن الشماع، الأدلة البينة في مفاخر الدولة الحفصية, تحقيق وتدقيق : طاهر بن محمد المعموري, الدار العربية للكتاب, تونس , 1984, ص 102 .

[4] – شارل أندري حوليان, المرجع السابق , ص 186 .

[5] – صالح كليل, المرجع السابق , ص 10 .

[6] – روبار برنشفيك, تاريخ افريقية في العهد الحفصي من القرن 13 إلى نهاية القرن 15, ترجمة : حمادي الساحلي, الجزء الأول, الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامي, بيروت , 1988 , ص 276 .

اتسمت العلاقة بين الجزائر وتونس والمغرب خلال القرن 15م, بطابع التنافس والحرب فبحكم الموقع الجغرافي للجزائر ووقوعها بين المرينيين في الغرب الحفصيين في الشرق جعلها تتعرض للكثير من المشاكل , سواء تعلق الأمر بالشؤون الداخلية أو بعلاقتها الخارجية بجيرانها , وخضوعها للسيطرة المرينية تارة الحفصية تارة أخرى باعتبارها الحلقة الأضعف بينهما ما جعل حدودها غير مستقرة بسبب التعرض للاعتداءات الخارجية في أغلب الأحيان وطوال فترة حكم أسرة بني عبد الواد .[1]

المبحث الثالث : نتائج الصراع بين ممالك شمال إفريقيا خلال القرن 15 وبداية 16م:

إن الصراع القائم بين الحفصيين والزيانيين والمرينين , الذي امتد لعدة سنوات كان عبارة عن بوابة لجملة من المشاكل المترتبة عنه بالنسبة للجزائر بصفة خاصة, حيث انعكس الصراع سلبا على دول المغرب الثلاث فاتحا لذلك فترة جديدة ومرحلة مميزة في طابعها وشكلها السياسي .

بدأت منطقة المغرب الأوسط تشهد ضعفا كبيرا وتراجعا , وذلك نتيجة للخصومات والصراعات القائمة بين الزيانيين والمرينين من جهة, وبينها وبين الحفصيين من جهة أخرى.[2]

نتيجة لرغبة الدول الثلاث في التوسع وبسط نفوذهم وتوسيع نطاق حدودهم في الجزائر, حيث سيطر الحفصيون على كل من بجاية وقسنطينة وحاول المرينيون السيطرة على تلمسان أكثر من مرة , كل ذلك أدى إلى تأزم الوضع وتعاظم الانحلال السياسي وبروز سلطة الطوائف الصوفية وفساد الحكم.[3]

وعلى الرغم من العلاقات السياسية السيئة بين الطرفين (الزياني المريني) , إلا أنه أظهر علاقات ثقافية جيدة فكثيرا ما يأتي طلاب من مدن المغرب الأقصى ويدرسون في تلمسان, أو يذهب علماء من تلمسان ويدرسون في مدن الدولة المرينية مثل الشيخ "أبي عبد الله النجار " الذي وصل من تلمسان إلى سبتة ودرس فيها قبل عودته إلى تلمسان.[4]

---

[1] – " بنو عبد الواد " : فرع من فروع الطبقة الثانية من قبيلة زناته الكبيرة استقروا منذ أزمنة طويلة بالمنطقة الغربية بالجزائر . أنظر الموجز في تاريخ الجزائر , يحي بوعزيز .

[2] – رشيد بورينة وآخرون، الجزائر في التاريخ 3 العهد الإسلامي من الفتح إلى بداية العهد العثماني, المؤسسة الوطنية للكتاب , الجزائر , 1984 , ص –ص 155 – 157 .

[3] – يحي جلال، المغرب العربي الكبير, الطبعة الثانية، المكتب الجامعي الحديث , مصر, 1982 , ص– ص 16 – 17 .

[4] – بسام كامل وعبد الرزاق شقدان, المرجع السابق , ص 109.

في المغرب الأقصى ظهر البرتغاليون في شواطئ البحر المتوسط والمحيط الأطلسي, كما ظهر الإسبان وأصبحت سفنهم تسعى إلى إنشاء مراكز حربية استعمارية سماها الإسبان بريسيديوس (Presidios) والبرتغال فرونيترا (Franteiras), ومن جهة تكونت الطوائف في صحراء الجزائر وتونس وانفردت بالحكم وانفصلت عن السلطة المركزية بتلمسان أو تونس أو فاس وأخذت عصابات قطاع الطرق وحجز القوافل في النمو وتكونت إقطاعية مغاربية في الأقطار الثلاث من العائلات الثرية والدينية محاولة رفض نفسها على الممالك المرينية ثم الوطاسية الزيانية و الحفصية , كما ظهرت الطوائف الصوفية في جميع أنحاء البلاد وحاولت اكتساب المال والثروة والسلطة والإفلات من الخضوع للسلطة, وأخذت هذه الأوضاع في التزايد أواخر القرن الخامس عشر وأدت في نهاية الأمر إلى تظافر مختلف الأسباب للغزو الأجنبي وخاصة بعد سقوط غرناطة سنة 1492م[1], والأحداث التي حلت بمسلمي الأندلس بعد النكسة وطرد المسلمين من الأندلس نهائيا .[2]

ازدادت الهجرة الأندلسية صوب بلاد المغرب فرارا من المسيحيين , وقد نصت الاتفاقية العلنية بين اسبانيا ومسلمي الأندلس على عبور المسلمين إلى المغرب ونقلهم على متن عشر سفن وهو ما نصت عليه المادة السابعة من الاتفاقية العلنية وهذا بندها " الأشخاص الذين يرغبون في العبور إلى العودة تجهز عملية نقلهم في غضون ستين يوما من تاريخه على متن عشر سفن كبيرة تتوزع على الموانئ القريبة منهم حسب رغبة المبحرين ليحملوا أحرارا وطوع إرادتهم إلى المكان الذين يرغبون النزول إليه فيما وراء البحر ـــ أرض المغرب ـــ خاصة الموانئ التي كانت ترسو بها تلك السفن ".[3]

---

[1] – صالح كليل , المرجع السابق , ص12.

[2] – سالم بوتدارة ، تاريخ شمال إفريقيا من خلال كتابات مار مول كار بخال والحسن الوزان,إشراف حنيفي هلا يلي، رسالة ماجستير , التاريخ الحديث والمعاصر, قسم التاريخ ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية, جامعة سيدي بلعباس , 2010 – 2011 , ص 29.

[3] – عبد الحكيم الذنون, آفاق غرناطة , البحث في التاريخ السياسي والحضاري العربي ط1، دار المعرفة، دمشق، 1988م، ص 61.

وبدأ الزحف الاسباني على الأندلس وشمال إفريقيا وانتهى بسقوط الأندلس ونهاية الحكم الإسلامي فيها1492م.[1] ولكن دويلات شمال إفريقيا وقفت أمام الزحف الصليبي في معظم المناطق و لم يتمكن البرتغاليون والاسبان السيطرة إلا على بعض المدن الساحلية.

أدى الصراع القائم بين دول وممالك شمال إفريقيا إلى ضعف المنطقة وظهور روح التنافس فيما بينها لتوسيع خريطتها الجغرافية خلص بدوره إلى ظهور وتفاقم الانحلال الخلقي وظهور الأحكام التعسفية للحكام, كل ذلك مهد لفتح الباب أمام التدخل الأجنبي في المنطقة وتوالي الهجمات الصليبية عليها وفي ذلك صورة لانتقال الصراع بين دول المغرب العربي بعضها ببعض, إلى صراع مسيحي صليبي بمباركة البابا موجه ضد المغرب العربي .

[1] – محمد مورو, بعد 500 عام من سقوط الأندلس 1492 – 1595 الجزائر تعود إلى محمد صلى الله عليه وسلم, المختار الإسلامي، القاهرة، ص16.

خاتمة:

شهدت الجزائر قبل 1500م أوضاعا داخلية تمثلت في الصراع بين أفراد الأسرة الزيانية الحاكمة فيما بينهم, وهو ما وجد فيه حكام تونس والمغرب وسيلة للتوسع على حساب الجزائر وبالفعل قام كلا من المرينيين و الحفصيين بدعم هذا الصراع الأسري على الحكم لإخضاع منطقة الجزائر وهو ما جعل العلاقة بينهم تتسم بطابع العداوة والحرب , فتارة تكون الغلبة للحفصيين في الجزائر وتارة للمرينيين, كل ذلك أدى إلى تأزم الوضع بالمنطقة الذي نتج عنه ضعف السلطة السياسية مما أفسح المجال للغزو الأجنبي, وتحول الصراع فيما بعد إلى صراع مسيحي إسلامي ما سوف يؤدي في نهاية المطاف إلى ظهور وسيطرة العثمانيين على الشواطئ الجنوبية للبحر المتوسط.

الفصل الثاني: الصراع التركي الاسباني في الحوض الغربي للمتوسط 1492-1541م

المبحث الأول: ظروف وأسباب الصراع التركي الاسباني في غرب المتوسط

البحث الثاني: التحرشات الاسبانية على الجزائر

المبحث الثالث: الغزو التركي وإلحاق الجزائر بالدولة العثمانية

الفصل الثاني: الصراع التركي الإسباني في الحوض الغربي للمتوسط 1492م-1541م

شهد القرن الخامس عشر تغيرات جذرية في أوروبا والعالم فظهور إسبانيا موحدة ونكسة المسلمين في الأندلس، جعل العثمانيين يجدون موطأ قدمٍ له في شمال إفريقيا بذريعة نجدة مسلمي الأندلس الذين عانوا من ويلات المضطهدين الإسبان، فكيف بدأ التدخل العثماني؟ وما هي أسباب الحملات الاسبانية على الجزائر؟

المبحث الأول: ظروف وأسباب الصراع التركي الإسباني في غرب المتوسط:

تضافرت العديد من العوامل المختلفة التي مهدت لاشتداد الصراع بين الأتراك والإسبان وذلك حسب مجموعة من العوامل أهمها:

1 - الوحدة الإسبانية: كانت إسبانيا في القرن الخامس عشر ميلادي مقسمة إلى إمارات متناحرة فيما بينها وهي قشتالة وأراغون، نافارة، ليون، البرتغال،و كانت أقواه مملكة قشتالة وأراغون[1].

اتحدت هاتان الإمارتان عن طريق الزواج السياسي من فرديناند[2] ملك أراغون وإليزابيلا[3] ملكة قشتالة سنة 1469م فنتيجة لهذا الزواج ظهرت إسبانيا الموحدة.

إن هذا الزواج السياسي كانت نتائجه مدمرة بالنسبة لمنطقة الضفة الجنوبية للبحر المتوسط، حيث جعل هذه المناطق تتعرض للاحتلال الإسباني في شكل حرب تحمل بعدا مسيحيا[4].

لكن إسبانيا كما قال عنها أغلب المؤرخين قد فقدت روحها وقوتها العلمية والحضارية بتحطيم دولة الأندلس وإبعاد الأندلسيون والمستعربين عن البلاد[5].

في أوائل 1490م أرسل الملوك الإسبان الجدد رسالة إلى السلطان أبي عبد الله الصغير رسالة يطلبون فيها تسليم غرناطة، فرفض ذلك وصمم على المقاومة والدفاع عن ملكه، فما كان على فرديناند سوى محاصرة غرناطة في 23 أفريل 1491م، فأحرق جنوده الحقول التي تمد المدينة بالمؤن، لما رأى أبو عبد الله أنه ليس في

---

[1] - علي حسين الشطشاط، نهاية الوجود العربي في الأندلس، دار قوباء، القاهرة، 2001، ص61.

[2] - فرديناند : هو ابن الملك فرديناند الأول والملكة جيان الثانية ويسمى فرديناند الثاني، حكم ما بين 1452م - 1516م، أشتهر بشدته كما أسس محاكم التفتيش وفي عهده توحدت إسبانيا وسقطت غرناطة 1492م.

[3] - اليزابيلا: ملكة قشتالة ورثت العرش بعد أخيها هنري الرابع، حكمت ما بين 1472م-1504م، و لم يكن لزواجها سلطة على مملكتها قشتالة، سعت مع زواجها للحصول على لقب ملوك الكاثوليك من البابا إسكندر السادس.

[4] - محمد السعيد بوبكر، العلاقات السياسية الجزائرية الإسبانية خلال القرن 18م، إشراف: مختار حساني، رسالة ماجستير، معهد العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، المركز الجامعي بغرداية، 2010-2011، ص41.

[5] - أحمد توفيق المدني، المرجع السابق، ص48.

مقدوره الدفاع عن المدينة أرسل إلى الملك فرديناند طالبا الهدنة لكي يستطيع خلالها أن يتفقوا على شروط الصلح التي يمكن التسليم بمقتضاها[1].

كانت شروط التسليم سبعة وستون شرطا، منها تأمين المسلمين على أنفسهم وأهلهم وأموالهم وإبقاء الناس في أماكنهم ودورهم، وإقامة شريعتهم على ما كانت عليه[2].

أما الشروط الخاصة بسلطان غرناطة فنصت على مغادرته إلى منطقة البشرات ويجعل مقره في أندرش، على أن يخضع لملك قشتالة واشترط هذا الأخير قبل دخوله غرناطة أن يقدم إليه أهلها خمسمائة من أعيان المدينة رهينة خوفا من أن يغدروا بجيشه[3].

فتمكن الإسبان من القضاء على آخر معقل للمسلمين بالأندلس وهو غرناطة سنة 1492م، وعاش المسلمون الذين بقوا هناك مأساة كبيرة، فلم يكتفي الإسبان بالقتل والأسر بل أنشئوا محاكم للتفتيش[4].

2-الاضطهاد الاسباني وهجرة الأندلسيين: اضطر عندها مسلمي الأندلس إلى الهجرة لسواحل المغرب فرارا بدينهم وخوفا على حياتهم، ومن هناك شرعوا في محاولات استرجاع ملكهم.

أما الذين بقوا في غرناطة فلم يكن الحكام ولا مسؤولي محاكم التفتيش يتساهلون معهم، فبعد تحويل المساجد إلى كنائس، وتحمس القساوسة للقضاء على اللغة العربية التي اعتبرت من أكبر الجرائم، ونشر اللغة الإسبانية لدى الموريسكيون[5]، أجبر هؤلاء على تغيير الملابس لتكون مطابقة لملابس الإسبان، ومنع الخياطون والصناعيين والصناعيين من الخياطة على الطريقة الإسلامية، وأصبح لزاما على الموريسكيون وضع شارة زرقاء على قبعاتهم ليميزوا عن المسيحيين، ثم توالت أوامر النهي والتحريم لتشمل منع الاغتسال يوم الجمعة[6].

أجبرت الفتيات المسلمات على الاقتران القصري بالنصارى وكذلك الحال بالنسبة للرجال فقد أجبروا على الزواج بنصرانيات، وتم توزيع المسلمين على شكل مجموعات وزعت على الكنائس لاختلاطهم بالمسيحيين وتلقينهم تعاليم الديانة المسيحية وعادات وتقاليد الإسبان لتسهيل عملية الإدماج[7].

---

[1] - علي حسين الشطشاط، المرجع السابق، ص66.

[2] - أحمد المقري، نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب، ترجمة: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، الجزء الثاني، 1988، ص277.

[3] - علي حسين الشطشاط، المرجع السابق، ص67.

[4] - أنشئت هذه المحاكم للتضييق أو للقضاء النهائي على المسلمين بالأندلس وتطهير إسبانيا والوطن من الدين الإسلامي، فهي تعتبر وسيلة اتخذها ملوك إسبانيا والسلطة الدينية لتنفيذ مشاريعهم. جمال يحياوي، سقوط غرناطة ومأساة الأندلسيين 1492م- 1610م، منشورات وزارة الدينية والأوقاف، تلمسان، 2011، ص- ص 67-68. أنظر كذلك إلى كتاب دولة الموحدين لعلي الصلابي، دار البيارق، عمان، ص282.

[5] - الموريسكيون مصطلح للتعريف بآخر مسلمي الأندلس أو المسلمين المنتصرين، والذين فرض عليهم التنصير القصري ما بين 1499م-1526م. أنظر: حنفي هلا يلي، الوحدة الاسبانية بداية المأساة الموريسكية، ص6.

[6] - جمال يحياوي، المرجع السابق، ص96.

[7] - المرجع نفسه، ص97.

نتيجة لهذا الوضع لجأ سكان غرناطة إلى طلب المساعدة من ملوك شمال افريقيا لإنقاذهم وتكررت دعوات وفودهم ورسائلهم إليهم للعمل على إنقاذهم مما يعانونه من ظلم خاصة من رجال الكنيسة ومحاكم التفتيش.

فكانت أخبار الأندلس تصل إلى المشرق فارتج لها الممالك والدول، فبعث السلطان بايزيد بوفد إلى البابا وملوك النصرانية يذكرهم بأن النصارى تحت حمايته يتمتعون بالحرية، في حين أن أبناء دينه يعانون أشد أنواع الظلم[1].

ومن الرسائل التي أرسلت للسلطان بايزيد الثاني يستغيثون به وهي عبارة عن قصيدة شعرية[2].

3-إستراتيجية التوسع لدى الأتراك:

كان السلطان بايزيد يعاني من العوائق التي تمنعه من إرسال جنوده، الإضافة إلى مشكلة النزاع على العرش مع "الأمير جم"، وما أثار ذلك من مشاكل مع البابوية في روما وبعض الدول الأوربية وهجوم البولنديين على مولدافيا والحروب في ترانسلفانيا والمجر والبندقية، وتكوين التحالف الصليبي الجديد ضد الدولة العثمانية[3].

إلا أنه في ظل هذه الظروف تهادن مع السلطان المملوكي الاشرف لتوحيد الجهود من أجل مساعدة غرناطة، فاتفقا على أن يرسلا بايزيد أسطولا على سواحل صقلية باعتبارها تابعة لمملكة إسبانيا، وأن يجهز السلطان المملوكي حملات أخرى من ناحية إفريقيا.

استطاع بايزيد إرسال أسطولا بحريا نحو الشواطئ الإسبانية زرع الخوف والقلق في نفوس الأعداء بقيادة كمال رايس، كما شجع السلطان العثماني بحارته في البحر اهتمامه بهم، والذين بد اوا في نجدة إخوانهم المسلمين في الوقت نفسه كانوا يغنمون الكثير من الغنائم السهلة الحصول من سواحل أوروبا، ودخل كثير من هؤلاء تحت خدمة السلطان العثماني، بعد ذلك أخذ العثمانيون يستخدمون قوتهم البحرية الجديدة في غرب البحر الأبيض المتوسط[4].

في غرب البحر الأبيض المتوسط وصل القراصنة ومعظمهم ممن أرغموا على الرحيل من الأندلس، حيث أسس المنفيون من إسبانيا مستوطنات على طول إسبانيا المألوفة لديهم، ومهاجمة السفن المسيحية خاصة في منطقة جبل طارق والمنطقة البحرية المحيطة بجزيرة مالطة[5].

---

[1] – محمد علي الصلابي، الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط، الطبعة 1، دار التوزيع والنشر، بورسعيد، ص ص 165-166. أنظر كذلك: نبيل عبد الحي رضوان، جهود العثمانيين لإنقاذ الأندلس واسترداده، إشراف: محمد عبد اللطيف البحراوى، رسالة دكتوراه، كلية الشريعة، جامعة أم القرى، السعودية، 1987، ص102.

[2] – أنظر الملحق رقم1، ص69.

[3] – عبد العزيز محمد الشناوي، الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها، مكتبة الانجلو المصرية، مصر، الجزء الثاني، 1980، ص 903.

[4] – محمد الصلابي، المرجع السابق، ص 183.

[5] – أحمد عبد الرحيم مصطفى، أصول التاريخ العثماني، ط3، دار الشروق، القاهرة، 2003، ص93.

خلال سنوات قليلة كانت أغلبية الموانئ الممتدة من تونس شرقا إلى المغرب تضم أساطيل إسلامية أثارت الرعب في قلوب الأوروبيين وردا على ذلك استولى الإسبان على عدد من النقاط الحصينة على طول سواحل مراكش والجزيرة وأرغموا الحفصيين على الخضوع لهم، وأدى هذا إلى تحويل النشاط الجهادي الإسلامي من شرق البحر الأبيض المتوسط إلى الغرب مما مهد للغزو العثماني للشمال الإفريقي[1].

إن الحقد الصليبي الإسباني اتجاه المسلمين لم يكتفي بطردهم من موطنهم غرناطة بل تجاوز إلى السواحل المغربية وكان لهذا العمل أسباب من بينها:

3-الأسباب الدينية:

إن الدور الذي قام به البابا في مدينة روما من أجل البلاد المسيحية فأصدر أمره السامي بأن يستمروا على دفع الضريبة الصليبية GRUSADA[2]، لملوك إسبانيا من أجل الحرب الإفريقية وجمع الرهبان والقساوسة أموالا طائلة في سبيل ذلك[3].

كما أن وصية الملكة اليزابيلا كانت واضحة المعالم لولي عهدها والمتمثلة في ضرورة التعاون مع الكنيسة بمواصلة الحرب ضد المسلمين، وفي هذا الصدد يقول المؤرخ أبروديل: " إن التعصب الديني والرغبة الجامحة في محاولة تنصير المسلمين، وإرادة إبعاد حدود الإسلام كل ذلك مجتمعا قد حذا بالاسبانيين إلى التدخل بالغرور في البلاد الإسلامية بالشمال الإفريقي، والكلمة التي نجدها معبرة عن هذا المعنى والتي لا نجد مندوحة عن استعمالها، هي كلمة صليبية"[4].

ويذهب الأستاذ كات إلى نفس ما قاله أبروديل حيث يقول: " و لم يكن للاسبان من هم إلا نقل الحرب إلى إفريقيا بعد أن كانت نفس البلاد الاسبانية مسرحا لهذه الحرب طيلة قرون وإرغام العرب من أهل إفريقيا على اعتناق دين المسيح بواسطة السلاح"[5].

ومنه فإنه لا يمكن إنكار الأسباب الدينية التي مثلت روح العصر في إسبانيا كما يعتبر أن السبب الديني وحده كان دافعا لهاته الحملات الصليبية.

---

[1] - أحمد ياغي، الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث، الطبعة الثانية، مكتب العبيكان، 1998، ص ص 66-67.

[2] - عبارة عن إمدادات مالية تقدم إلى خزينة الملكين لتمويل مشاريع الحملة الصليبية وتسهيل عمليات القضاء على النفوذ الإسلامي بالأندلس بل وملاحقتهم إلى شمال إفريقيا في إطار الصراع القائم بين الهلال والصليب.

[3] - أحمد توفيق المدني، المرجع السابق، ص71.

[4] - المرجع نفسه، ص81.

[5] - نفسه، ص82.

4- الأسباب السياسية:

إن فكرة توسيع المملكة الإسبانية لتصبح دولة عظمى في المتوسط وهذا لا يكون إلا بالتوسع على حساب منطقة شمال إفريقيا التي عرفت آنذاك تمزقا سياسيا ومرحلة ضعف، حاول الإسبان استغلال ذلك لإحياء إمبراطورية أمجادهم فصاروا لا يتحملون راية دولة أخرى تنازعهم السيادة.

كما أن ظهور العثمانيين في غرب البحر الأبيض المتوسط كقوة إسلامية يمكنها من عرقلة المخططات الإسبانية، والتي تسعى للسيطرة على مضيق جبل طارق، هذا من شأنه أن يمكن إسبانيا من مراقبة منطقة شرق المتوسط والدويلات الإيطالية الجنوبية[1].

5-الأسباب الاقتصادية:

إن طرد المسلمين من الأندلس، والذين كانوا دعامة الاقتصاد وخلايا العمل، وانهيار النظامين الاجتماعي والاقتصادي في إسبانيا وضعها في موقع حرج فالإنتاج تعطل، أما المعاملات المالية والقروض فقد انقرضت خاصة بعد طرد اليهود وإحراق من بقي منهم.

فما كان على المملكة الجديدة سوى حل واحد وهو التوجه إلى سواحل المغرب وأوروبا وأمريكا في مغامرات لا نهاية لها ويسلبون ما يجدون أمامهم عنوة ليعودوا نحو إسبانيا، فكانت هذه الأعمال تفيد النبلاء والأغنياء والمغامرين دون عامة الشعب[2].

كان الحل الوحيد والأمثل لهذه المشكلة هو السيطرة على السواحل المغربية فالأسبان المحتلين للمغرب اكتفوا بالساحل والمدن الساحلية و لم يتوغلوا إلى الداخل قصد التمويل بالمواد الغذائية أو القيام ببعض الحملات بل بقوا في أبراجهم لمراقبة الطرق التجارية عبر المتوسط بما يضمن لهم السيطرة على التجارة البحرية والصحراوية القادمة من إفريقيا.

إن الوحدة الاسبانية في مطلع القرن 16م، مثلت قفزة نوعية لاسبانيا فكان من نتائجها سقوط آخر معقل للمسلمين بها ، ومطاردتهم إلى سواحل شمال إفريقيا لأسباب ادعتها ،فأعطت الشرعية لتواجد الأتراك في غرب البحر المتوسط لحماية مسلمي الأندلس ومهدت للغزو التركي لشمال إفريقيا.

---

[1] - حكمة ياسين،<< الغزو الإسباني للجزائر في القرن 16>>، مقال، نشر في مجلة الأصالة، الساعة 14:15، 19973/05/03، وزارة التعليم والشؤون الدينية، مطبعة البعث، قسنطينة، ص242.

[2] - أحمد توفيق المدني، المرجع السابق، ص- ص 87-89.

المبحث الثاني : التحرشات الاسبانية على الجزائر :

كان لضعف بني زيان تأثيرا على أوضاع المغرب الأوسط فانقسمت على نفسها إمارات صغيرة مفككة كإمارة كوكو ببلاد القبائل، و الإمارات الحفصية بقسنطينة، و إمارة الزواوة بالحضنة و إقليم الزاب، و إمارة بني جلاب بتقرت و وادي ريغ، وإمارة الثعالبة بالجزائر، وشجع الإسبان هذا التفكك للقيام بغزو موانئها بعد تمكنهم من القضاء على الحكم الإسلامي بالأندلس 1492م فتوجهوا بحروبهم الصليبية على بلاد المغرب الإسلامي وفق مشروع استعماري واسع يهدف إلى استعمار شمال إفريقيا ممدين له بحركة جوسسة واسعة فكلف الكاردينال "كزيميناس" شخص يدعى" لورانديو باديا " بمهمة التجسس صحبة البندقي "جيرونيمو فيينالي" .[1]

1-احتلال المرسى الكبير 1505م :

بني من طرف الرومان على هيئة قلعة محصنة على ساحل المتوسط بالقرب من وهران ، حيث يعتبر من أهم المراسي في إفريقيا آنذاك، كان يتسع لعدد من القوارب والسفن ومحمي طبيعيا من الجهات الأربع.كانت ترسو به كل عام السفن الضخمة القادمة من البندقية وغيرها من بلاد أوروبا حاملة البضائع التي تنقل بعد ذالك إلى وهران[2].

كان سبب الاحتلال الاسباني للسواحل المغربية هو تسلل مسلمي الأندلس إلى سواحل شمال إفريقيا ما دفع " فرديناند والزابيلا " بتكليف دوق مدينة سيد ونيا باحتلال مدينة مليلة سنة 1496م، والتي حولت إلى منطلق لبعثات الاستطلاع على الوضع العام للدولة الزيانية ومدى تقبل القبائل للتعامل مع الإسبان[3].

بعدما جمع الإسبان المعلومات قررت الملكة إلزابيلا غزو تلمسان فجندت 1200جندي تحت قيادة الكونت " دي تنديا " وتبرعت من مالها الخاص، ولكن موتها سنة 1504م أوقفت الحملة مؤقتا وقبل وفاتها كتب في وصيتها أنه لا ينبغي إيقاف غزو إفريقيا ولا إنهاء الحرب ضد الكفار من اجل العقيدة[4].

---

[1] -يحي بوعزيز، الموجز في تاريخ الجزائر الحديثة ، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزء الثاني، الجزائر، ص9.

[2] -مارمور كربخال، تاريخ افريقيا، ، دار نشر المعرفة، الرباط، الجزء الثاني، 1988، ص327.

[3] -صالح كليل، المرجع السابق ، ص44

[4] -عمار عمورة، الجزائر بوابة التاريخ، دار المعرفة الجزائر، الجزء الثاني، 2006 ، ص56.

عندما صح العزم من الملك " فرديناند " على الشروع في غزو السواحل المغربية لم تكن الخزينة الاسبانية تسمح بذالك، فالكنيسة وحدها من تطوعت بتجهيز الحملة والإقدام على الغزو والذي دام نحو 300 سنة[1].

غادر الأسطول الاسباني مدينة مالقة يوم 29 أوت 1505 م،وكان يقوده الدون "رايموندي دي قرطبة " تحت إمرة القائد" ديقو فرناندیز قرطبة" متكون من خمسة آلاف جندي.

وصل الأسطول يوم 11 سبتمبر 1505 م بعد أن اعترضنه رياح معاكسة، و التي كانت في صالح الإسبان لان الذين جاءوا للدفاع عن المرسى قد ملوا الانتظار وعاد أكثرهم إلى ديارهم إما حامية المرسى الكبير المرابطة من اجل الدفاع عنه لم يكن عددها يتجاوز 500 مجاهد[2].

شرع الجيش الاسباني في مهاجمة المرسى، ونظرا للمفاجئة لم يجد أمامه عدد كبيرا من المدافعين أما القليل الذين وجدوا في الميناء لم يتمكنوا من رد الهجوم رغم شجاعتهم التي شهد بها الأعداء أنفسهم .

فقد دام الحصار الذي فرض على المرسى 50 يوما حسب ما رواه " هنري غارو" وأدى إلى استسلام الحامية.[3]

اتجهت أنظار الإسبان بعد أن استقروا بالمرسى إلى قرية " مسرغين " [4] ويبدو إن الإسبان لم يتوقعوا وجود مقاومة قوية هناك، ويرجع سبب اهتمامهم بالقرية إلى حاجتهم للمواشي التي تسد حاجة جيشهم، وأتاح صمود أهل القرية لوصول المساعدات من القرى المجاورة فقتل ما يزيد عن 3000 جندي اسباني وفر الباقي إلى المرسى[5].

[1] -احمد توفيق المدني، المرجع السابق،ص96.

[2] -المرجع نفسه، ص97

[3] - مبارك الهلي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، مكتبة النهضة، الجزائر، الجزء الثالث، 1964 ، ص 23

[4] -تقع على بعد 15 كم من وهران

[5] -شوقي الجمل، المرجع السابق، ص81

2 - احتلال وهران 1509م :

بعد حوالي خمس سنوات وجه الإسبان ضربتهم الثانية إلى مدينة وهران فأعدوا حملة ضخمة خرجت من قرطاجنه يوم 16 ماي 1509 م .[1]

وجهزها "الكاردينال خيمينيس" حيث شملت 15 إلف من اشد المقاتلين بقيادة " بيدرو نافا رو " [2]، وصلت إلى وهران يوم 19 ماي 1509م، وفرضت عليها الحصار حتى استولت عليها بفضل خيانة بعض ضعفاء الذمة و السماسرة اليهودية[3].

فحسب رواية " أغا بن عودة المزاري " أن يهودي تحت ذمة المسلمين جاء بشخص يدعى" زاوي بن كبيسة " المعروف بابن" زهو" للمدينة على غفلة وادخل الإسبان سرا بالحيلة، فصار يدخل ويخرج ونكب المسلمين، وقد عجز الزيانيون عجزا كليا عن الدفاع عن المدينة[4].

ونصب على احد الأبراج صليبا احمر كان عامل المرسى قد أرسله إليهم ليتخذوه إشارة يستحثون بها المسحيين إذا وصلوا أمام المدينة [5].

كان من نتائج هذا اليوم أن الإسبان تمكنوا من احتلال النقطة الأساسية في بلاد الجزائر، كما إن بني زيان استسلمت للاسبان و اعترفوا بنوع من التبعية لهم و تعهد " أبو حمو الزياني " بدفع ضريبة مقدارها اثنا عشر ألف دوقة، و اثنا عشر من جياد الخيل و تسعة من طيور الباز الجارحة .

كما استطاع الإسبان فك ثلاث مئة من الأسرى المسحيين، وخضع لهم معظم رجال بني عامر و غيرهم من العرب التابعين لوهران [6].

3-احتلال بجاية 1510 م :

لم يتوقف الإسبان عند هذا الحد بل اخذوا يتحرشون ضد بجاية التي كانت تخضع لأمير حفصي تابع لإمارة قسنطينة الحفصية يدعى " عبد الرحمان " وينافسه أخوه " عبد الله" [7]. فشنت عليها حملة كبيرة يوم 05 05 جانفي 1510م، كان يشتمل الأسطول على عشرون سفينة كبيرة تحمل على متنها عشرة آلاف رجل، تعززهم مدفعية ضخمة وآلات عديدة و سلاح وفير[8].

---

[1] -يحي بوعزيز،الموجز، المرجع السابق ، ص 9

[2] -احمد توفيق المدني، المرجع السابق ، ص 110

[3] -يحي بوعزيز، الموجز، ص9

[4] -آغا بن عودة المزاري، طلوع سعد السعود في أخبار وهران و الجزائر و اسبانيا و فرنسا إلى أواخر القرن 19، تحقيق : يحي بوعزيز، ادار الغرب الإسلامي، بيروت ، الجزء الأول، 1990، ص 211

[5] -مار مول كربخال، المصدر السابق، ص 330

[6] -احمد توفيق المدني، المرجع السابق، ص -ص 113-114

[7] -يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص 09

[8] -احمد توفيق المدني، المرجع السابق، ص 120

أسفرت العملية على انتصار الإسبان و أبيد أكثر من أربعة آلاف جزائري، كما دمر المدينة دمارا تاما وقضوا على كل المعالم العمرانية و الدنية و الأثرية، و أمام الخراب الذي لحق بالمدينة أرسل " فرديناند " إلى الوالي العام "انطونيو دي رفانيدا " رسالة مؤرخة من 13 أكتوبر 1511م يطلب فيها السماح بعودة المسلمين إلى المدينة وضمان سلامتهم، وحرية ممارسة العقيدة[1].

بادر السلطان الحفصي بتونس "أبو عبد الله " عم المتوكل باسترضاء الملك الاسباني و التقرب إليه تماما كما فعل مللك تلمسان، و تعهد بدفع ضريبة سنوية مع فارسين من جياد الخيل و أربعة من طير الباز دليل خضوعه و رضوخه و في اعتقاده بعمله هذا أخف الضررين[2].

4-احتلال صخرة البنيون 1511م:

بعد اشتداد حملات الإسبان على الجزائر، عملت مشيخة مستقلة على رأسها "سالم بن التومي" على وجوب استرضاء الأعيان و عقد اتفاق معهم .

في شهر جانفي 1510م بعد نكبة بجاية، خرج وفد من أعيان مدينة الجزائر متوجه إلى بجاية، حيث كان "بيدرو نافارو "، و اتفق الطرفان على عقد السلام بين المدينة و الإسبان و أن يتعهد الجزائريون بإطلاق الأسرى المسيحيين .

و في 1511م سار الوفد المفاوض إلى اسبانيا، و تفاوض مع مجلس سرقسطة و اتفق الجانبان على أن يسلم الجزائريون أكبر جزرهم الصخرية، و بمجرد إمضاء الاتفاق أرسل الإسبان أحد المهرة من مهندسيهم العسكريين " مرتينو دي رنتيريا " فأشرف على بناء القلعة البحرية التي أصبحت تدعى صخرة البنيون[3].

وعلى غرار هذا فعلت مستعانم و مزغران بالناحية الغربية قرب وهران بعد شعور سكانها بالخطر، قدموا عام 1511م فروض الطاعة و الولاء للحاكم الاسباني بوهران [4]. أما الموانئ الجزائرية الأخرى كتنس وشرشال ودلس فلم يتعرض لها الإسبان لأن أعيانها عرضوا عليهم دفع ضريبة تقاء شرهم [5] .

---

[1] -صالح كليل، المرجع السابق، ص 51

[2]- أحمد توفيق المدني، المرجع السابق، ص 126 .

[3]- أحمد توفيق المدني، المرجع السابق، ص 127 .

[4]- يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص 10

[5]- عمار عمورة، موجز في تاريخ الجزائر، الطبعة الأولى، دار ريحانه ، الجزائر ، 2002 ، ص 82

5- حملة أندري دوريا [1] 1531م :

جاءت هذه الحملة بعد تحطيم صخرة البنيون على يد "خير الدين بربروس" و غضب الأهالي . [2] فاندفع أهالي السواحل بشكل دائم و مستمر على المجلس العالي للدولة الاسبانية يشكون أوضاعهم، وما يعانونه من رعب و خوف من جراء مهاجمة الجزائريين، فطالبو بإنقاذهم و تخليصهم منهم، و بناء على هذا الطلب قرر المجلس الملكي غزو الجزائر و وافق الملك على القرار[3].

ولما علم "بربروس" بالخبر أخذ في جمع قراصنة الجزائر و الاستعداد للتوجه إلى جبل طارق، أعطى " شارل الخامس "[4] الأوامر لقائد أسطوله " أندري دوريا " بالتوجه بسفنه الحربية و سفن نابولي و سفن صقلية لمواجهة خير الدين، و لما علم أن قطعا توجد في شرشال قام بهجوم مباغت عليها و ذهل الأتراك، وانزل جنوده و اقتحم المدينة و حرر 800 أسير، و توزع الجنود المهاجمون على ديار المدينة ينهبونها، عندئذ نزل إليهم الأتراك الذين أجهزوا عليهم فقتلوا منهم ما يزيد عن 400 جندي و اجبر الآخرين على الفرار، لكن دهاء " أندري دوريا " اضطره لإبعاد السفن على الشاطئ حتى يحث الجنود على القتال، إلا أن جشع و طمع الجنود أدى إلى قلب النصر هزيمة[5].

6- حملة شار لكان 1541م :

حاول "شار لكان " عقب إخراج الأتراك من تونس سنة 1535م مهاجمة أتراك الجزائر و بقية المواقع الأخرى ، وكان من أهم الأسباب التي دفعته للتفكير في ذلك هو انتصاره في تونس، لكن التعب و الإنهاك البادي على قواته جعلته ينسحب إلى بلاده[6].

غادر "خير الدين" بعد أن وجه له السلطان "سليمان القانوني" فرمانا يطلب منه الحضور إلى استانبول، فعين خليفته له وهو "حسن آغا " [7]. فكانت فترة حكمه صعبة للغاية، إذ تميزت بمحاولة الإمبراطور شار لكان الاستيلاء على المدينة في 1541م[8].

---

[1]- ولد أندري دوريا في 1498م وهو من عائلة ذات أصل جنوي ، التحق بالبحرية و أظهر براعة فائقة ، فأصبح قائد للأسطول الجنوي سنة 1513م، مارس القرصنة على حسابه الشخصي و جمع أموالا كثيرة من خلالها , انظر الأتراك العثمانيون في شمال إفريقيا، عزيز سامح، ص 94 .

[2]- المقصود هنا الأهالي الاسبانيين المقيمين على السواحل الجزائرية .

[3]-سالم بوتدارة ، المرجع السابق ، ص 84.

[4]- شار لكان : تولى الملك بعد الملكين مباشرة ، عرف بتشدده اتجاه الموريسكيون و بحملاته على سواحل الجزائر ,

[5]- مار مول كربخال، المصدر السابق، ص 357.

[6]- عزيز سامح الترا، الأتراك العثمانيون في افريقيا الشمالية، ترجمة: محمود علي عامر، ط1، دار النهضة العربية، بيروت، 1989، ص -ص 154-155.

[7]- سردينيي أعجب به خير الدين فتبناه و عطف عليه و اختاره ليتولى الإيالة بعده .

[8]-سالم بوتدارة ، المرجع السابق، ص 86.

فكان "شار لكان" يرى أن الجزائر وكر القراصنة الأتراك و المهاجرون الأندلسيون الذين كانوا يهاجمون الشواطئ الاسبانية و يعترضون لسفنها، فصمم على احتلالها ليضع بذلك حدا للقراصنة و يوقف أعمالهم التخريبية ببلاده .[1]

بعد أن أتم تجهيزاته الحربية، و أمده البابا " يوحنا الثالث " بعون مادي كبير علاوة عن العون الديني، إذ نشر في البلاد الأوربية أمرا بابويا يعلن فيه أن الحملة صليبية، و أنه واجب على كل مؤمن بالصليبية أن يشارك في محاربة القراصنة الأتراك[2].

أرسل "شار لكان " رسله الذين دخلوا في مفاوضات مع "خير الدين" على أن يكون تابعا له، و دفعه لإعلان التمرد على السلطان العثماني، فبعث إليه رسالة جاء فيها : "إن تنزيلك من منصبك كملك للجزائر لتكون بايلربايا عليها حسبما تقضي به التقاليد العثمانية يعتبر إهانة بالغة لك، وها أنا أعرض عليك أن تتخلى عن خدمة السلطان سليمان على أن أجعلك ملكا وحيدا على كل البلاد الإفريقية الواقعة بين البحر الأحمر و المحيط الأطلسي، و ليكن معلوما لديك بأنني لا أريد أن تكون حليفا لي، بل يكفيني أن تكون صديقا لي و تقطع صلتك بالعثمانيين، فهذا كل ما أريده منك "[3].

كان يشرف على هذه المحادثات " أندري دوريا " مع " ألونو دي ارجون " و القبطان " فرغارة "، و الدكتور " روميو "، فأظهر " خير الدين " تقبله و استعداده للتفاوض و تسلم الهدايا، إلا أنه كان قد أجبر كان قد أخبر السلطان سليمان القانوني بكل ما كان يجري و تكمن من خداع " أندري دوريا "، و استمرت المحادثات مدة عامين لكن السلطان أراد وضع حد لهذه المهزلة فأمر بإلقاء القبض على الدكتو ر " روميو " و سجنه في يدي كوله (الأبراج السبعة)[4].

كان " شار لكان " يفاوض " خير الدين " من جهة، ومن جهة أخرى أوعز إلى الكونت " لكوديت " أن يتفاوض مع " حسن آغا " على تسليم مدينة الجزائر مقابل تعيينه باشا عليها، و يبدو من رسائل حاكم وهران أن " حسن آغا " لم يرفض مبدئيا هذا العرض، ولكن لا توجد وثائق قطعية تدل على قبول " حسن آغا " هذا العرض[5].

---

[1]- شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ص 342.

[2]- أحمد توفيق المدني، المرجع السابق ، ص 281.

[3]- مجهول، مذكرات خير الدين، ترجمة : محمد دراج ، ط1، شركة الأصالة للنشر، الجزائر ، 2010 ، ص193.

[4]- عزيز سامح التر، المرجع السابق، ص156.

[5]-مبارك أليلي، المرجع السابق، ص 64.

إن مشروع الاعتداء على الجزائر قد خطط له و نظم بعناية فائقة، لكن بقاء " شار لكان " إلى أواخر الفصل في ألمانيا أدى إلى تأخر تحرك الارمادة بما فيها تحرك الجنود و المؤونة إلى 18 من شهر أكتوبر[1].

تألف الأسطول من 516 سفينة شراعية و 65 غالبة تحمل 12330 بحارا و 23900 جندي، وهي أكبر قوة عسكرية في القرن السادس عشر ميلادي، كما شارك فيها نبلاء إسبانيا و إيطاليا و ألمانيا كجنود متطوعين[2].

وما أن علم " حسن آغا " باستعدادات الحملة حتى دعم تحصينات مدينته، وجمع أعيان المدينة حول شيخها " السعيد الشريف " و أبلغهم أوامره، و أمر قادته بتنظيم و تنشيط المتطوعين خارج المدينة الذين عول عليهم في منع و عرقلة تقدم العدو نحو المدينة، و التي منع سكانها من الخروج منها[3].

بعد مشاهدة أشرعة الأسطول دعا " حسن آغا " الأهالي و الأعيان إلى اجتماع في الجنينية[4]، و أعلن أن أمامهم خيارين لا ثالث لهما إما النصر أو الموت، ثم فتح أبواب مستودعات الأسلحة و سلم السلاح للمقاتلين[5].

وصلت الحملة ونزلت عند ناحية حسين داي يوم 23 أكتوبر 1541م على رأسها " أندري دوريا " وتحركت نحو قلعة الإمبراطور فاحتلتها، وفي اليوم الرابع و العشرين قرر الإمبراطور التقدم إلى الأمام على رأس الفيلق الألماني، فوصل إلى كدية الصابون و هناك بدأت معركة عنيفة و تمكن من احتلالها و اتخذها مركزا عاما للهجوم[6].

إلا أن عاصفة هبت ذلك اليوم تسببت في جنوح عددا من سفنهم على الشاطئ واستطاع الأسرى المسلمون الفرار، كما أن كثير من السفن الإسبانية قد قطعت حبالها و ارتطمت بالصخور مع كل ما تحويه من مؤونة .

وقد نجح " أندري دوريا " في إبعاد أغلب سفنه عن الساحل إلى البحر، أما الجنود الإسبان فلم يكن يكونوا على استعداد لمثل هذه العاصفة فابتل بارودهم و انهارت معنوياتهم، في هذا الوضع خرج جنود الجزائر في هجمة كادت أن تؤدي إلى هزيمتهم لولا بسالة فرسان القديس " يوحنا " الذين حالوا دون ذلك[7].

---

[1]- جون وولف، الجزائر و أوربا، ترجمة : أبو القاسم سعد الله، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر،1986، ص 56.

[2]-عزيز سامح الترا، المرجع السابق، ص 157.

[3]- صالح عباد، الجزائر خلال العهد العثماني1514-1830، دارهومة، الجزائر، 2005، ص 103.

[4]- الجنينية : هو قصر بناه الرومان قديما ، انتقل إليه القراصنة الأتراك بعد قتل القرصان عروج لسالم التومي

[5]- نبقولاي إيفا نوف، الفتح العثماني للأقطار العربية 1516-1574 ، ترجمة : يوسف عطا الله، مراجعة : مسعود ضاهر، الطبعة الأولى، دار الفارابي ، بيروت ، 1988، ص 144.

[6]- أحمد توفيق المدني، المرجع السابق، ص 285.

[7]-جون وولف، المرجع السابق، ص 57.

اقترح " كورتيز " على الإمبراطور أن يبتعد عن المدينة و ينتظر حتى يهدئ الجو ثم يعيد المحاولة مرة أخرى، لكنه أصغى بدلا منه إلى " أندري دوريا " و إلى الكوديت، الذين أوضحوا له أنه لا يملك الطعام ولا البارود[1].

أمر " شار لكان " جنوده بالانسحاب إلى " تامنتفوست "، فلاحقه " حسن آغا " وجنوده فقتل من قتل و أسر من أسر، وأبحر من تبقى من الحملة نحو بجاية دون انتظار وصول ملك كوكو الذي سار مع أتباعه نحو الجزائر، لكنه علم بالكارثة فعاد أدراجه[2].

بعد ضعف دويلات المغرب و التي لم تعد قادرة على حماية نفسها، شنت عليها اسبانيا حملاتها الصليبية[3] مطلع القرن السادس عشر ميلادي التي استمرت حوالي قرنين من الزمن، كما قادها أكبر و أمهر القادة العسكريين بزعامة الكنيسة المسيحية ، مما أدى إلى استنجاد بعض أهالي المدن الساحلية بالأخوين بربروسا اللذان استغلا الوضع الغير مستقر والخطر الخارجي لغزو المغرب الأوسط ومنه تم إلحاقه بالدولة العلية سنة 1518م.

المبحث الثالث: الاستنجاد بالأتراك و إلحاق الجزائر بالدولة العثمانية

بعد سقوط آخر معاقل المسلمين بالأندلس عام 1492م و مطاردة الدول المسيحية للمسلمين الفارين تنفيذا لوصية الملكة "إيزابيلا" ، أدى ذلك إلى شن إسبانيا حملات واسعة على المغرب الأوسط احتلت بموجبها العديد من المدن على غرار المرسى الكبير و وهران،هذه الأوضاع عجلت بظهور الأتراك بالجزائر، و الانطلاق في مشروع الاستحواذ و الإنفراد و السيطرة عليها في نهاية الأمر.

في 31 جانفي 1510م قدم سالم التومي آخر ملوك الثعالبة بالمغرب الأوسط بصفته شيخ مجلس الأعيان (مجلس الشورى) إلى بجاية لإعلان ولاءه للقائد الإسباني "بيدرو نافارو" الذي احتل عاصمة الحماديين (بجاية)، و طلب هذا الأخير من سالم التومي دفع ضريبة باهضة و إطلاق سراح كل العبيد المسيحيين الموجودين أسرى في يد سكان المدينة ،و لكن من جهة أخرى فرض بناء قلعة على تلال الجزر المقابلة لمدينة الجزائر، و زيادة على ذلك فإنه يتوجب على حاكم مدينة الجزائر الذهاب شخصيا لإعلان خضوعه و طاعته

[1]- المرجع نفسه، ص 58.

[2]- صالح عباد، المرجع السابق، ص 107.

[3]- أنظر الملحق رقم 2 ، ص 74 .

للملك إسبانيا برفقة "مولاي عبد الله" حاكم مدينة تنس الذي أعلن بدوره خضوعه و طاعته ،و كانوا محملين بالهدايا الثمينة و معهم 130 من العبيد المسيحيين ثم تحريرهم[1].

و لما وصلت أنباء وفاة الملك الإسباني "فرديناند" كان أولئك الإخوة الثلاثة قد استقروا في ميناء جيجل الصغير الواقع على الساحل الشرقي من مدينة الجزائر[2].

و في سنة 1512م حاول" عروج" الاستحواذ على بجاية استجابة لنداء الوالي الحفصي المطرود[3]، هذا الأخير و هو يرى نفسه محروما من أملاكه و قوته ،وفي نفس الوقت تصله انتصارات "عروج" الذي راح يرسل إليه ببعثات يرجوه فيها و بسرعة أن يساعده على استرجاع بجاية عاصمته، واعد إياه ليس فقط بدفع مستحقات لخدمته، و لكن يجعله سيدا على ميناء بجاية الواسع و المحبب الرسو لما يعطيه من أمن طوال أيام السنة[4].

و أثناء محاولة "عروج" فك الحصار على بجاية سقطت عليه شظية قنبلة أدت إلى إصابته في ذراعه ، وفشل محاولته وعودته مهزوما إلى قواعده لذلك راح يترقب الفرص المؤاتية و التي تسمح له بشن هجوم على القوات الإسبانية[5]،واضطر "عروج" للرجوع إلى تونس فورا لمعالجة ذراعه ،و لم يجد الأطباء يومئذ لها سوى بترها ،لكن "عروج" لم يواصل سيره إلى تونس مسالما أو مستسلما للألم من كسر ذراعه إذ اصطدم وهو في طريقه الساحلي بسفينة معادية تابعة لمدينة جنوة الإيطالية، فهاجمها وأسرها وغنم ما فيها ثم رجع بها إلى تونس وضمها إلى أسطوله[6].

سار "عروج" على رأس عشرين ألف من كتامة إلى بجاية وقام بمحاصرتها، لكن لم يستطع الدخول إليها وكان ذلك في شهر أوت من سنة 1514م، وفي ربيع 1515م أعاد عليها الهجوم عليها مرة ثالثة

[1] – كورين شوفاليه، الثلاثون الأولى لقيام دولة مدينة الجزائر 1510-1541، ترجمة: جمال حمادنة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ص 20.
[2] – وليام سبنسر، الجزائر في عهد رياس البحر، ترجمة و تحقيق: عبد القادر زبادية، دار القصبة للنشر، الجزائر 2006، ص 39.
[3] – شارل أندري جوليان ، المرجع السابق ، ص 326.
[4] – فراي ديغو هايدو ، تاريخ ملوك الجزائر، ترجمة: أبو لؤي عبد العزيز الأعلى، دار الهدى ، الجزائر، ص 17.
[5] – عاطف عيد و حليم مشال حداد، قصة و تاريخ الحضارات العربية تونس-الجزائر موسوعة، تاريخية–جغرافية–حضارية وأدبية، ص 118.
[6] – بسام العسلي،خير الدين بربروس (والجهاد في البحر)، دار النفائس، بيروت، ط1،1980، ص-ص 87-88.

مستعينا بوحدات من أسطوله البحري التي سارت في خط مواز لمسيرة الجيش البري عن طريق الوادي الكبير ، أي القسم الصالح للملاحة منه، وأمده في هذه المرة أمير قلعة بني عباس "عبد العزيز الحفصي ابن القاضي"[1].

فأقاموا حصار على مدينة بجاية أربعة وعشرين يوما [2]، ووقع في هذه الفترة من القتال ما ضيق على الإسبان ،وفي هذه اللحظة فرغ البارود عليهما فوجه "عروج" وأخاه "خير الدين" رسلا إلى سلطان تونس برسم إعانتهم بالبارود وغيره من الآليات الحربية، فامتنع السلطان الحفصي من مساعدة الأخوين بما طلبوا منه،[3]

وبعد عودة "عروج" بعد ذلك إلى جيجل أرسل له السلطان "سليم الأول" أربع عشرة باخرة مشحونة بالبحريين ،فأخذ "عروج" يهاجم المراكب في سواحل الأندلس و إيطاليا التابعة لدولة إسبانيا[4].

كانت مدينة تنس إحدى مدن الجزائر يرأسها أحد الأمراء العرب ،لقد كانت المدينة في وضع لا تحسد عليه من الخلاف و النزاع وقد عانى الأهالي من ذلك الأمرين ،ولأجل ذلك كان من السهل على الإسبان أن يستولوا على هذه المدينة وكان "عروج" بدوره أيضا يسعى في ضمها إلى نفوذه والسيطرة عليها[5] .

وكانت الحراسات ملحة وضرورية في مدينة الجزائر، وأخيرا جاءت الفرصة لإلغاء المعاهدات الموقعة مع إسبانيا و تحطيم صخرة البنيون[6]. لهذا الغرض دعا "سالم التومي" القرصان "عروج باربا روس" لمساعدته ،وهي خطوة لم يلبث أن ندم عليها ، وكان لابد أن يصبح وجود الإسبان في البنيون شوكة في عين أكبر القراصنة[7].

فأرسل أولا عن طريق البحر ست عشرة سفينة تعود ملكيتها إلى "عروج" وبعضا من أصدقائه القراصنة ،وعلى متن هذه السفن راح ينتقل خمس مئة تركي مع المدفعية و البارود ،بينما جاء هو عن طريق البر ومعه

---

[1] – مبارك بن محمد الميلي ،تاريخ الجزائر في القديم والحديث ،مكتبة النهضة الجزائرية ،الجزائر ،الجزء الثالث ،1964 ،ص 37.

[2] – أربعة وعشرين حسب الرواية التركية وهناك ثلاث أشهر ،أنظر مبارك الميلي ،الرجع السابق ،ص37.

[3] – مجهول ، غزوات عروج وخير الدين، تصحيح وتدقيق: نور الدين عبد القادر، المكتبة الثعالبية و المكتبة الأردنية، الجزائر،1934، ص- ص 25-26 .

[4] –مبارك الميلي، المرجع السابق، ص38.

[5] –مجهول، مذكرات خير الدين، ترجمة:محمد دراج، شركة الأصالة للنشر و التوزيع، الجزائر،2010، ص 80.

[6] –كورين شوفاليه، المرجع السابق ص 26.

[7] –هاينريش فون مالستان، ثلاث سنوات في غربي شمال افريقيا، ترجمة وتدقيق: أبو العيد دودو،ج1، ط1، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1978، ص 51.

ثماني مئة من القراصنة الأتراك مسلحين و ثلاثة آلاف من موري جبال جيجل أتباعه جاؤوا ليلتحقوا به ساعة الانطلاق للسير إلى الجزائر على أمل أن تكون الغنائم مضمونة ، وراح "عروج" قبل ذلك يرسل ببعثات ومعها الكثير من الخدمات التي سوف يقدمها للسكان في مدينة الجزائر[1].

وكان "عروج" قبل دخوله إلى مدينة الجزائر قد توجه إلى مدينة شرشال التي كانت تخضع لقرصان تركي آخر وهو صديق قديم "لعروج" يدعى "حسن قاره" [2]، كان قبل سنوات قد اختطف سفينة جميلة و التي أصبح هو مالكها ،أصبح يرغب في أملاكه وانتصاراته ،وهو يريد أنتكون له ثروة مشابهة لثروته وقد غادر وسفينته وعدد كبيرا من أصدقائه الأتراك إلى مدينة شرشال ،وقبل هؤلاء القراصنة طواعية "قارة حسن" كقائد لهم كل ذلك جعل منه ذا شهرة ك"عروج" ، ومن جانب هذا الأخير كان يرى في ذلك وكان هناك من يسرق منه ملكه الخاص به ،وهو متحمس بصلابته للسيطرة على كل تلك المنطقة ، في هذه الأثناء قرر مهاجمة خصمه من دون علمه قبل أن يصبح قويا ،وهو على هذه النية المبيتة سار مسرعا إلى شرشال وأمر سفنه الحربية التي كانت بالجزائر بأن تأخذ نفس الطريق ،وبعد وصوله تمكن من الاستيلاء على المدينة دون مقاومة و التي لم تكن محصنة ،إضافة إلى أنه لم يأتي من أجل الحرب ،ولكن من أجل تصحيح قضية بين أصدقاء ،ومنها راح يعلم "قارة حسن" الذي كان مندهشا لرؤيته وغير مرتاح لرؤيته يستولي على المدينة في نفس الوقت الذي يريد فيه "قارة حسن" بدوره الاستقرار لأسطوله ومنها راح يسلمه المدينة ورجاله الأتراك وسفنه وحتى نفسه ،و الاعتذار منه قدر المستطاع ،لكن "عروج" عمد إلى قطع رأسه و الاستيلاء على ممتلكاته و قام بإدخال الأتراك بجيشه و أعلن نفسه ملكا على السكان[3].

وظن سكان مدينة الجزائر بعد بقدوم الأتراك أنهم سيتخلصون من وطأة الحصن (البنيون) بسرعة ،غير أن مدافع القراصنة الأتراك لم تتمكن من تحطيم القلعة فتهامس الأهالي بينهم ،وحيكت مؤامرة بين الثعالبة و الإسبان و سكان مدينة الجزائر للتخلص من القراصنة الأتراك ،لكن "عروج"تكمن من القضاء عليها عندما عمد إلى شنق "سالم التومي" عندما باغته في حمامه و المزمع إرجاعه للحكم ،ودفع بجنوده الأتراك إلى مبايعته سلطانا على المدينة ورجع الأمن إلى نصابه بعد أن قتل البعض من المتمردين على القراصنة الأتراك و سجن

[1] -فراي ديغو هايدو المصدر السابق ص- ص 24-25.

[2] -يحي بوعزيز،الموجز، المرجع السابق، ص13.

[3] -فراي ديغو هايدو، المصدر السابق، ص- ص 25-26.

البعض الآخر وقطع الوعود للأعيان ، ولئن لم تظفر المدينة بمنقذ فقد مسك "عروج" سيدا بزمامها في 1516م[1].

وقام الأخوان "بربروسا" بالتوسع في عموم الإقليم الذي صار يسمى الجزائر، واستوليا على كل من قبصة ومليانة وإقليم القبائل وتنس وطرد حاكمها "مولاي عبد الله" من بني زيان منها ،كما قام القرصان "عروج" بتقسيم البلاد إداريا إلى منطقة شرقية مكونة من خمس بلديات ومقرها دلس تحت إشراف "خير الدين" ،وخمس بلديات أخرى لنفسه و عاصمتها الجزائر حتى تسهل السيطرة عليها[2].

قرر "عروج" بعدها الاستمرار في النصر قصد القضاء على النظام العميل الذي أقامه الإسبان في تنس و عينوا لإدارته "يحي بن سالم التومي" ووعده بتوسيع إمارته لتشمل تلمسان ، وعلى هذا قاد "عروج" قواته برا حيث غادر الجزائر سنة 1517م ومعه ألف تركي ،وفي الوقت ذاته تولى "خير الدين" قيادة القوات البحرية[3].

ونذكر باختصار مراحل هذه الغزوة التي كانت سيئة للقرصان "عروج" في النقاط التالية:

_التقى عروج مع جيش ملك تنس في سهل الشلف و انتصر "عروج" في هذه المعركة و احتل تنس في جوان 1517م.

_توجه "عروج" إلى تلمسان حيث استلم الحكم بعد أن قتل "أبو زيان".

_قامت قبائل الزيانيين و الموالين لهم بمحاصرة "عروج" و تكمن هذا الأخير من الهرب، لكنهم لاحقوه وقتلوه في ماي 1518م[4].

كان "خير الدين" بمدينة الجزائر عندما قام "عروج" بالزحف على مدينة تلمسان ، وبعد مقتل أخيه بدأ يستعد لترك المدينة ليستأنف عمله في القرصنة، ثم قام بإقناعه بعد ذلك العديد من أتباعه بالبقاء ومقاتلة الأعداء ما يتناسب وعمل المؤمن الحقيقي[1].

[1] -شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ص 227.

[2] -عبد الجليل التميمي،<< أول رسالة من أهالي الجزائر إلى السلطان سليم عام 1519>>، المجلة التاريخية المغربية، (تونس-جويلية-1976)، ص 35 .

[3] -بسام العسلي، المرجع السابق، ص 100.

[4] -كورين شوفاليه، المرجع السابق، ص 36.

سمع "خير الدين" بنزول الإسبان ،فعين ثلاثمائة من الجند لحراسة المدينة ومثلهم من أهلها ،وعين خمسة آلاف من الجند عبارة عن كمائن و استعد للقاء الإسبان غاية الاستعداد، اشغل المسيحيين يومين عن القتال بسبب إنزال آلياتهم الحربية إلى الساحل ثم انقسموا إلى فريقين وقصدت كل فرقة منهم ناحية المدينة ،ووقعت الاشتباكات بينهم برا و بحرا ،فخرج إليهم "خير الدين" من المدينة و شرع في مقاتلتهم ،فانهزم الإسبان وعادوا إلى سفنهم وقام "خير الدين" بملاحقتهم رفقة رجاله ،فقتلوا الكثير منهم إذ بلغ عدد المقاتلين الإسبان عشرين ألف و لم يبق منهم سوى ستة آلاف مقاتل[2].

لقد واجهت "خير الدين" مصاعب عديدة لا تحصى إذ أن هزيمة "عروج" و مقتله تسبب في سلسلة من الانتفاضات في جهات مختلفة ضد سلطة الأتراك ،فقد ثارت بلاد زواوة تحت إمرة "أحمد ابن القاضي" ،كما ثارت كلا من مدينة تنس وشرشال و اغتنم صاحب تونس هذه الفرصة فأرسل إلى "خير الدين" يطلب منه أن يعترف بسلطنة تونس كما يخضع لها أيضا ،هذا كله يضاف إلى ما كان يتوقعه "خير الدين" من سير الإسبان إلى مدينة الجزائر للقضاء عليه بعد أن تمكنوا من القضاء على أخيه من قبل[3].

و كان من أثر هذه المعركة أن عظم شأن الأتراك بالجزائر و افريقي ا، وكان بالجزائر ثلاثة عشر ألف أسير منهم أربعة و عشرون من كبار القادة يعرفون عند الإفرنج باسم "أميرال" ، وكان ضبطهم أمرا في غاية الصعوبة، ففي إحدى المرات قاموا بكسر قيودهم و حاولوا الفرار و لم تتم إعادة اعتقالهم من جديد إلا بعد معركة كبيرة انتهت بمقتل ثلاثمائة منهم[4].

شعر الأتراك بعد تمركزهم في الجزائر أن الخطر سيأتي عليهم من تونس وتلمسان لذلك بدأ القرصان "خير الدين" يخطط لإخضاعهم تحت سيطرته ،وبما أن الجزائر كانت قديما مرتبطة بتونس ولهذا فإن سلطان تونس اعتبر القرصان "خير الدين" شخص عاص و مغتصب فبدأ هو الآخر الإعداد لإعادة الجزائر إلى دائرة نفوذه وطرد القرصان "خير الدين" و القراصنة الأتراك منها[5].

---

[1] -وليام سبنسر، المصدر السابق، ص- ص 44-45.

[2] -مجهول، غزوات عروج،المصدر السابق، ص- ص 36-37.

[3] - مبارك الميلي، المرجع السابق، ص51.

[4] - مجهول، مذكرات خير الدين بربروس، المصدر السابق ،ص95.

[5] - عزيز سامح الترء المرجع السابق، ص 79.

وفي نفس الوقت اتخذ "خير الدين" قرارا يكشف عن عمق حاسته وعبقريته السياسية، فقد قرر ربط مصيره بمصير الدولة العثمانية كونه لا يستطيع الاستمرار في المحافظة و سيطرته على الجزائر، وعدم قدرته على بسط نفوذه عليها كاملة كما كان يحلم "عروج" ما لم يضع نفسه تحت سلطة الباب العالي[1].

وبات سكان مدينة الجزائر الذين لا يثبتون على حال للاعتراف به كخليفة لأخيه ورئيسا للمدينة [2]،على مضض وخوف عودة الإسبان وعدم وجود قوة محلية تستطيع صد الغزو الخارجي.

وكان أول ما قام به إرسال سفينة إلى السلطان العثماني يعلمه فيها عن وفاة "عروج"، وخشيته من أن يقوم الإسبان بطرده من الجزائر وكل البلاد ويطلب منه الحماية واعدا إياه بتقديم الضرائب وكذا زيادة القوة التركية بالجزائر بصورة تكون فيها البلاد في أقصر مدة تابعة كلية للإمبراطورية العثمانية، وهو يدعم طلبه بهدايا يحملها أحد أتباعه، وتلقى السلطان هذا الطلب بالقبول ،كما أرسل إليه ألفي جندي من الإنكشارية كما قام بإعطاء الموافقة لكل من يريد الذهاب إلى الجزائر، بعدما منح إنكشاري الجزائر نفس الحقوق التي يتمتع بها إخوانهم في القسطنطينية، بذلك أصبحت الجزائر ومن سنة 1518م تابعة للإمبراطورية العثمانية وتحت سيطرة القرصان"خير الدين" وطائفة رياس البحر[3].

من خلال الصراع الذي قاده القراصنة الأتراك ضد المسيحيين الإسبان في منطقة شمال افريقيا عامة وفي الجزائر على وجه الخصوص ،فإنهم استطاعوا القضاء على التدخل الإسباني في عدة مناطق واحكموا سيطرتهم عليها ،إلا أن الأتراك قاموا بممارسة جملة من الأعمال و التجاوزات ضد الأهالي أدى بهم إلى إعلان التمرد ضد القراصنة الأتراك في مناسبات عديدة ومناطق متفرقة ،إلى أن تم لهؤلاء القراصنة ما أرادوا وهو السيطرة على الجزائر و غزوها تحت غطاء العامل الديني من جهة ،ودعم السلطان العثماني من جهة أخرى.

[1] – مبارك الميلي، المرجع السابق، ص 52.

[2] – وليام سبنسر، المصدر السابق، ص 45.

[3] – فراي ديغو هايدو، المصدر السابق، ص-ص 43-44.

خاتمة:

تنوعت و تعددت الأسباب التي أدت إلى الصراع الإسباني التركي في الحوض الغربي للبحر المتوسط من أسباب دينية و اقتصادية و سياسية ،كل يهدف من وراء هذا الصراع إلى بسط نفوذه بالجزائر وغزوها و الاستقرار بها ،فشن الإسبان حملات كبيرة وواسعة احتلت بموجبها العديد من المدن الجزائرية بداية القرن السادس عشر ميلادي أضخمها حملة "شار لكان" في 1541م ،وتمكن القراصنة العثمانيون من استرجاعها بفضل جهود الإخوة باربا روسا الذين قدموا إلى الجزائر لتوسيع مناطق نفوذ العثمانيين في شمال إفريقيا و السيطرة على الجزائر وإقامة دولة تابعة للسلطة ،إلا أن الغزو الإسباني جاء بصورة مباشرة على خلاف القراصنة العثمانيون الذين استمالوا قلوب بعض أهالي المدن الساحلية من أجل تحقيق مشروعهم والاستفراد بالجزائر بمعنى آخر أن الغزو المقنع كان هو الأسلوب الأمثل الذي اتبعه القراصنة الأتراك بالجزائر طيلة النصف الأول من القرن السادس عشر ميلادي.

المبحث الأول: مقاومة الوجود التركي

واجه القراصنة الأتراك بعد دخولهم الجزائر و سيطرتهم عليها ، مقاومة عنيفة من قبل الجزائريين ،بعد تلبية القراصنة لطلب النجدة المقدم من طرف بعض السكان قصد إنقاذهم من الإسبان ،لكن سكان المغرب الأوسط لم يتقبلوا فكرة حكام اخزين يحكمونهم بعد أن كانوا هم الحكام والأمراء، فأعلنوا تمردهم عليهم وامتنعوا عن دفع الضرائب. فما كان على الأتراك سوى توجيه حملات عسكرية على المناطق التي أعلنت مقاومتها لحكمهم.

1- معارضة "سالم التومي":

بعد عودة "عروج" إلى الجزائر من شرشال، اجتمع زعماؤها وأصحاب الرأي فيها وقرروا أن يسندوا له واجب الجهاد سنة 1516م. عندها شعر الأمير" سالم التومي" أن الأمر قد خرج عن سيطرته وان قبيلته القوة الأساسية واخذ يبحث عن الوسيلة التي تضمن له عودة السلطة الشرعية.[1]

تحالف شيخ الثعالبة "ابن التومي" مع الاسبان ،ولما أدرك "عروج" ذلك عمل على إرجاعه إلى مدينة الجزائر مظهرا له الولاء. ثم شنقه بقماش عمامته وهو في الحمام يتأه ب لصلاة الظهر[2].

أما عروج فيروج لفكرة أن الشيخ كان قد اختنق في الحمام، فقام كل من الأتراك والقبائل على إثرها وأخذوا أسلحتهم وذهبوا إلى المسجد حيث ودعوه الوداع الأخير،[3] و لم يبدي سكان الجزائر معارضتهم آنذاك اتقاء شر الأتراك لكنهم بقوا ينتظرون الفرصة للانتقام لشيخهم.

أما ابن الضحية صاحب العشر سنوات فقد فر إلى وهران حيث لجأ إلى الاسبان.[4]

في حين يرى "شارل أندري جوليان" ان تحالفا قام بين سكان الجزائر وأسرة الثعالبة والاسبان والغرض منه تقويض نفوذ "عروج "المتنامي.[5]

---

[1] بسام العسلي، المرجع السابق، ص97.

[2]- وليام سبنسر، المرجع السابق، ص42.

[3]- مجهول، غزوات عروج وخير الدين

[4]- صالح عباد، المرجع السابق، ص 47.

[5] - شارل اندي جوليان، المرجع السابق، ص327.

2-ثورة "ابن القاضي":

بدأت مقاومة ابن القاضي للوجود التركي بالجزائر بعد اكتساب خير الدين نصرا معنويا جعله ينصرف إلى تثبيت حكمه في الداخل ويستأثر بكل المناصب لصالح الأتراك مبعدا الجزائريين عن مناصب الدولة ورغم انه كان قد نصب "ابن القاضي" واليا على الناحية الشرقية وجعل مركزه جبل كوكو بمنطقة القبائل، ونصب على الناحية الغربية "محمد بن علي"، اعتقادا انه بإمكانه استغلالهما كواجهة لتسيير البلاد والسيطرة عليها[1].

كان "ابن القاضي" من الرجال السياسيين، تولى القضاء ببجاية ،كان بجانب "عروج" في حصار قلعتها كما أنه عاش كل الأحداث السياسية للبلاد بعد ان احتلها الأسبان وسيطرة الأتراك عليها، وكان قد عينه السلطان الحفصي واليا على عنابة سنة 1511م[2].

لكن العلاقة ساءت بين "خير الدين"و"ابن القاضي"، فأعلن الثورة والانفصال على سلطة الأتراك ومدافعا عن السلطة الشرعية للحفصيين الذين أمدوه الدعم، فما كان على خير الدين سوى مقاتلة صديقه في جبال الزواوة فالتجأ إلى عنابة فتلقى مزيدا من الدعم الحفصي، واستفز سكان الجبال ضد ظلم الحكم التركي الذي استولى على السلطة[3]. والتف حوله قبائل " ايت يحي"، "ايت بوشايب" ، " ايت فرلوسن" وغيرها وقام بتحصين مملكة كوكو، التي كانت مجهزة بجيش قوامه خمسة آلاف رجل ألف وخمسمائة فارس، وبدأ الاتصال مع الإسبان كما استطاع استمالة "حسن قاره" الذي كان يطمع بالسلطة بعد أن كان أحد الذين ساهموا في انتصارات الإخوة بربروسا. علم "خير الدين" بذلك فقرر الإسراع في إجهاض المشروع وتم إعدام عشرين من أنصار الثورة بعد محاكمتهم أمام المجلس الحربي[4].

وتدهور الوضع إلى درجة خطيرة حيث استغل "خير الدين" ظروف الثورة وأعلن الحرب على الجزائريين فوقعت المعركة و لم يكن معه إلا الجنود الأتراك الذين أبيدوا إبادة تامة و لم ينجوا إلا "خير الدين" وبعض من رجاله بصعوبة كبيرة، وانسحب بهم إلى قاعدته القديمة بجيجل .

---

[1]- توفيق المدني، المرجع السابق،ص211.

[2] - فاتح بن سالم ومخلوف عزيزي، الوجود العثماني بالجزائر1516-1535م، مذكرة لنيل شهادة ليسانس، كلية الآداب والعلوم الاجتماعية، تخصص مغرب حديث، جامعة بوضياف ، المسيلة ،2007-2008، ص 51.

[3] - المدني، المرجع السابق، ص 212.

[4] - كليل صالح، المرجع السابق، ص 112.

في حين تابع ابن القاضي تقدمه نحو مدينة الجزائر واستمر في حكم الجزائر ستة سنوات1521-1527 وتميز حكمه بالقسوة ضد المتعاونين مع الأعداء الأتراك، لكن مؤامرة دبرت له من بعض الخونة وتم اغتياله[1].

3- المقاومة في بايليك قسنطينة:

في عام 1572م اندلعت بقسنطينة ثورة ضدّ الحكم التركي، وتجددت في العام الموالي له وعمت معظم البايليك وأضطّر الباي "تشو لاق"أن يستنجد بقوات مخزن عرب الدواوة وعرب احمد بعد أن ثار الحنانشة في منطقة الشاوية وأولاد أمقران في منطقة القبائل، وتوسط "احمد بن بوعكاز" الداودي لدى الحنانشة فأقنعهم بوضع حد للثورة والتمرد[2].

في عام 1637م استدعى "مراد باي" إلى معسكره قرب قسنطينة " محمد الصخري بوعكاز"، مع كبار عرش أولاد بوعكاز العرب، وأوقفهم بواسطة مجلس الديوان وأعدمهم في الحال بتهمة تعاونهم مع الأعداء وكان ذلك سببا في اندلاع ثورة عارمة عمت كل بايليك الشرق، تزعمها "ابن القتيل احمد الصخري" وفرض حصارا على مدينة قسنطينة وخرّب كل المساكن المجاورة لها وقتل الكثير من المتعاونين مع الأتراك ونشبت معارك كثيرة في مختلف أنحاء البايليك وسالت الدماء وأنعدم الأمن واختل النظام وعمّت الفوضى كل الإقليم، وتعرض الباي لهزيمة في معركة سهل فيجل قرب سطيف رغم المساعدات التي قدّمها له الباشا من الجنود الأتراك والمدفعية ووسائل القتال الأخرى، استمرت النجدات تصل إلى البايلك إلا أنها لم تستطع إخماد الثورة، فتوسط "الآغا يحي" وشيخ أولاد عزّام وتم الاتفاق على أن تدفع القبائل ضريبة اللزمة[3].

في سنة 1642م ثار أولاد عبد المؤمن وهم عائلة كبيرة من الأعيان، فحملوا السلاح ضدّ الجنود الأتراك الإنكشاريين الذين أهانوهم واعتدوا عليهم ودامت المعارك يومين كاملين في شوارع مدينة قسنطينة، وقُتل أناس كثر من الجانبين، فقتل 24 شخص من أولاد عبد المؤمن فاضطروا إلى الاختباء بحيّهم ولازموا

[1] - بسام العسيلي، المرجع السابق، ص117.

[2] - صالح العنتري، تاريخ قسنطينة، مراجعة: يحي بوعزيز، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر2009، ص31.

[3] - المصدر نفسه، ص- ص 36-37.

منازلهم، وحُوصروا من قبل الأتراك، فتدخل شيخ البلد وشيخ الإسلام، والقاضي لدى قائد الإنكشاريين وتمّ الإتفاق على أن ينسحب الجنود إلى ثكناتهم ويعاقب الجناة من الجانبين[1].

4- مقاومة بني ورجلان وبني جلاب(مقاومة الجنوب):

كان في الجنوب الجزائري إمارتان مستقلتان، تمردتا على الحكم التركي، فكانت إمارة تقرت[2] وإمارة بني ورجلان[3] اللتان دخلتا تحت الحكم التركي أيام "خير الدين"، لكن بعد رحيله امتنعتا عن دفع الضريبة وأعلنا استقلالهما عن إدارة الأتراك[4].

جاء هذا العصيان في فترة "صالح رايس" الذي تواصل مع قادتها لكن دون جدوى، فوجه حملة نحوهما بمساعدة الشيخ عبد العزيز أمير قلعة بني عباس الذي كان معه ثمانية آلاف جندي. وسار الجميع نحو واحات تقرت1552م، وبعد معارك أمكن تصفية المقاومة والقضاء نهائيا على حكم بني جلاب وضمها إلى السلطة التركية[5].

من تقرت توجه "صالح رايس" مباشرة إلى بني ورجلان التي أعلن شيوخها عدم مقاتلة إخوانهم المسلمين، وتعهدوا بدفع الضرائب في المقابل تعهد لهم الأتراك باحترام مذهبهم الإباضي وحرية ممارستهم لشعائرهم الدينية[6].

[1] - نفسه، ص 38.

[2] - تولى الحكم فيها ملوك بني جلاب يتوارثونها أبا عن جد

[3] - تولى أمرها الشيوخ الإباضيون ورثة الدولة الرستمية وأمتد سلطانهم إلى قرب وادي ميزاب غربا والى المنيعة جنوبا.

[4] - نبيل عبد الحي رضوان، المرجع السابق، ص244.

[5] - المرجع نفسه، ص 244.

[6] - نفسه، ص 245.

المبحث الثاني: علاقة الأهالي بالإدارة التركية

تميزت علاقة الجزائريين والأتراك بالتقلب وعدم الاستقرار، نتيجة للممارسات التركية من جهة، ونظام الجباية الذي عانى منه الأهالي من جهة أخرى.

قامت العلاقة بين السكان والإدارة المحلية ذات الطابع العسكري،كما هو الحال في العديد التي خضعت للحكم التركي على أسلوب تسيير إداري يستمد تنظيماته من التقاليد المتوارثة والتنظيمات العثمانية الأخرى المحدثة ولا يخلو من القسوة والتعسف وذلك من اجل تحقيق ثلاثة أهداف[1]:

- إقرار الأمن والمحافظة على الهدوء والطاعة ولو باستعمال العنف والإكراه.
- ضمان استخلاص الجباية بشتى الوسائل والطرق.
- المحافظة على وضع اقتصادي وعلاقات اجتماعية تضمن امتيازات الجماعات الحاكمة ونفوذ المتعاونين معها على حساب غالبية السكان المؤلفة من الحضر والبرانية والرعية بالريف.

وقد أدى هذا الأسلوب في التعامل إلى انعزال الحكام عن السكان، وعدم تجاوب ممثلي الشرائح الفعالة الممثلة في زعماء القبائل، وشيوخ الزوايا مع الإدارة التركية، بل أدى هذا الوضع في بعض الأحيان إلى إعلان العصيان والمجاهرة بالتمرد كما هو الحال في المناطق الجبلية[2].

عملت السلطة التركية بالجزائر على تقوية وتدعيم نفوذها، وفرض سيطرتها على الأرياف وذلك بسعيها إلى إدارة هذه المناطق بواسطة بايات البايليك، وربطهم بمشايخ القبائل الريفية وفق مصالح الأتراك وما يتماشى وسياستهم،حتى لو تطلب الأمر استعمال القوة العسكرية، وذلك بشن حملات انتقامية وقمعية على القبائل الرافضة للحكم التركي والتعامل معه[3].

زادت وطأة الضرائب التركية في تدهور علاقة السلطة بالجزائريين مثل ما حدث زمن الباشا "حسن فتريانو"الذي قاد غزوات ضد جرر البليار والشواطئ الاسبانية لكن ما لبث أن ثار سخط السكان وحتى سخط طائفة الرياس، لما كان يفرضه من جباية ومغارم ،بالطرق الملتوية التي كان يسلكها للحصول على

[1] –ناصر الدين سعيدوني، الجزائر منطلقات وآفاق، ط2، عالم المعرفة، الجزائر،2009،ص173.

[2] ناصر الدين سعيدوني،الجزائر منطلقات وأفاق، المرجع السابق، ص 173.

[3] ناصر الدين سعيدوني، ثلاث رسائل تتعلق بأوضاع الجزائر قبل الاحتلال، مجلة التاريخ، العدد1979،07،ص74.

الأموال بكل ثمن، وذلك لتعزيز تحصينات مدينة الجزائر،وتجديد بناء برج مولاي حسن، وتزويد المواقع البحرية بالمدافع.[1]

لقد تحكم الأتراك في الحياة الاجتماعية بالجزائر من خلال عاملان تمثلا في الخدمات المقدمة والامتيازات المتحصل عليها لصالح المدن على حساب جماعات الريف،بذلك اتخذ التنظيم الاجتماعي القائم على مبدأ التفاضل ومن خلال نوعية التعامل،و طبيعة العلاقة مع السلطة شكل هرم مقلوب احتل فيه القمة الطائفة التركية وتليها الجماعات المساندة لها، فتحصل عل اكبر الامتيازات دون الخضوع لأية مطالب، وتستقر في أسفل الهرم طائفة البرانية في المدن وجماعات الرعية بالريف التي تقوم بالخدمات وتوفير الإنتاج دون الحصول على امتيازات لأنها لا تملك ما يخولها للحصول عليها[2].

لم يسمح للجزائريين بالانضمام في الجيش التركي والتدرج في مناصبه، خوفا من تمردهم على السلطة في المستقبل، وعندما حاول"حسن باشا" بن خير الدين باشا ان يدخل عناصر من الأهالي في الجيش، دبرت حوله مؤامرة انتهت بعزله عن الجزائر سنة 1568م[3].

أصبح الوضع الاقتصادي والاجتماعي للجزائر منذ نهاية القرن السابع عشر ذا طابع اقتصادي شبه مغلق يتصف بالجمود، ويقوم على تلبية مطالب الحكام المرتبطين بالتعامل مع السوق الأوروبية في إطار الامتيازات والاحتكارات، وما زاد في الركود الاقتصادي تلك المطالب المالية الثقيلة وعجز الجهاز الإداري على تطوير أساليبه وتبسيط إجراءاته واحترام قوانينه، الأمر الذي أدى إلى ازدياد تعاسة السكان وشقائهم، وعمق روح العداء لديهم لكل من يمثل سلطة البايليك، و لم تسفر حركات التمرد التي اعتادوا التعبير من خلالها على نقمتهم إلا عن تراجع مستمر في مستوى المعيشة وتدهور متزايد في العلاقات الاجتماعية[4].

ويبدو أن معاشرة النساء بالنسبة للإنكشاريين لم تقتصر على البغايا، بل تعدت ذلك إلى الاعتداء على النساء في بيوتهن، وهي عادة عرف بها الانكشارية في مختلف مناطق تجنيدهم.

[1] مبارك الميلي، المرجع السابق، ص 114.
[2] -ناصر الدين سعيدوني، الجزائر منطلقات وآفاق ،المرجع السابق، ص-ص176-177.
[3] يحي بوعزيز، الموجز في تاريخ الجزائر، ج2، ص33.
[4] -ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص175.

قامت في قسنطينة سنة 1568م ثورة ضد الحامية التركية داخل المدينة، بسبب اعتداء أحد الانكشارية على فتاة من المدينة فقام شجار بين الجاني واحد الأعيان وسرعان ما تدخل السكان ليقتلوا عددا من الجنود قدر ب 4الى 6 جنود، وخوفا من تفاقم اعتصم بقية الجنود القصبة إلى أن وصلت الإمدادات من مدينة الجزائر بأمر من "محمد آغا" ابن "صالح رايس"، وبمساعدة فرسان الذواودة تمكن الانكشارية من الخروج مرة أخرى إلى المدينة ليبعثوا فيها فسادا انتقاما لمقتل زملاءهم[1].

وكان قد سكن مدينة الجزائر نهاية القرن السادس عشر من أصل 6000جندي حوالي نصفهم، وكانت مدينة الجزائر تحتوي على 1800تركي إضافة إلى أولئك الموجودين خارج المدينة وعددهم حوالي 2600في مدينة تنس وقسنطينة، وبذلك فهم يشكلون نسبة ضعيفة من سكان البلاد، ولكنهم غير محبوبين ومقبولين من قبل باقي السكان في مدينة الجزائر، فالميليشيا اعتبرت نفسها وكأنها في بلاد محتلة، و لم تتوقف عن جبي الضرائب من السكان الفلاحين والمدنيين، كما أصبحت الضرائب العينة بعد مدة قصيرة قانون شرعي مستحقة الأداء، كما عرضوا على السكان مظاهر احترام خارجية وكل عضو من هؤلاء الأعضاء أخذ لقبا مشهورا وعظيما هو لقب السيد[2] .

كان الباي يعتمد في حفظ الأمن ببايليكه واستخلاص الضرائب على قبائل مخزنية معافاة من الضرائب، فيمتصون القبائل الضعيفة، وكان تواطؤهم على قدر إخلاصهم لرؤسائهم، ثم إن الأتراك اقروا إلى جانب ذلك في النقاط الإستراتيجية مجموعات عسكرية تسمى الواحد منها "الزمالة"لحفظ الأمن بالمنطقة مقابل إعفائها الجباية، وكان البايات لا يكترثون بتقاليد رعاياهم وعاداتهم ماداموا يدفعون الضرائب ولا يعترضون سبيل جيوشهم[3] .

شعر الأهالي بعدم الأمن والطمأنينة وإرهاقهم بالضرائب والغرامات دون مراعاة مدخلهم وأوضاعهم المالية، لكن حركة عصيان وتمرد ضد السلطة المركزية والإقليمية، وكانت بعض هذه الحركات تحاول إزالة الحكم التركي من أصله والقضاء علية نهائيا، فحاول سكان العاصمة والقبائل المجاورة سنة 1692م التخلص

[1] -جميلة معاشي، الانكشارية والمجتمع ببابليك قسنطينة نهاية العهد العثماني، إشراف كمال فيلالي، رسالة دكتوراه، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ والآثار، جامعة منتوري، قسنطينة، 2007-2008، ص135.

[2] -كورين شوفاليه، المرجع السابق، ص 76.

[3] -شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ص378.

من السلطة التركية أثناء غياب الداي، وأدت المحاولة إلى اشتعال النيران في مرافق الميناء وبعض السفن الراسية به[1].

وما زاد في تعقيد الوضعية ان سنة 1578م،وسنة 1579م كانتا سنتا جفاف في الجزائر، فانتشرت المجاعات بكيفية ضاعفت سخط السكان، وثارت حينها القبائل الجزائرية ورفضت دفع الضرائب، وفقد الباشا آخر أنصاره عندما أعلنت طائفة الرياس سخطها لما بلغها ان "حسن فتريانو" يريد أن يرفع من النصيب المخصص له من الغزوات[2] .ومهما أظهرت الإدارة التركية من مهارة في الحكم، إلا أنها لم تسيطر أبدا على البلاد سيطرة تامة، و لم تنفك بلاد القبائل عن تمردها رغم المراكز العسكرية التي أقرها الأتراك[3].

من هنا نستنتج أن العلاقة بين الجزائريين والإدارة التركية قامت على طابع الجباية الضريبية ، ويتضح لنا من ذلك قيام انتفاضات وثورات على السلطة في ما يخص جباية الضرائب ،والتي شدد القراصنة الأتراك على تحقيقها حتى باستعمال القوة إن رأت أنه لا سبيل من غير ذلك ،كما أن الممارسات الشنيعة للانكشاريين و السطو على أعراض الناس زاد من تعميق الهوة بين الأهالي و الإدارة المحلية و توالي النكبات الاقتصادية من جفاف ،وقلة المطر و انتشار الطاعون أدى ذلك إلى نقمة الأهالي على الحكام الأتراك ، وعدم الانقياد للأوامر القراصنة الأتراك و التمرد في معظم الأحيان ، كل ذلك يعكس لنا العلاقة المضطربة و العدائية بين الطريفين في أغلب الأحيان.

المبحث الثالث: طبيعة الوجود التركي في الجزائر1512م-1637م

بعد مقتل عروج في تلمسان سنة 1518م أصبحت القيادة بالجزائر لأخيه "خير الدين" الذي كان الوحيد القادر على خلافة أخيه في الحكم وبسط السيطرة التركية المطلقة، والإدارة المغلقة والمعتمدة على العنصر التركي فقط، ما ساهم في بقاء التماسك بين الرياس والانكشارية الأتراك بالجزائر.

إن للرجل الذي عهد إليه عروج بحكم الجزائر، وعينه الأتراك خليفة له خصلتين اثنين، عزم حديدي وسياسي صميم وجد نفسه في وضع لا يحسد عليه بعد الكارثة التي أصابت أخاه، وكان أهل تنس وشرشال

[1] يحى بوعزيز،الموجز في تاريخ الجزائر،ج2،ص49.
[2] مبارك الميلي،المرجع السابق، ص115.
[3] شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ص379.

والجزائر والقبائل يريدون الإفلات من قبضة القراصنة،فقرر خلالها "خير الدين"بربط مصيره بالدولة العثمانية، ولو اعتمد على نفسه فقط لخر تحت ضربات أعداءه الكثيرين، أما إذا دعم نفسه بالباب العالي فإنه يحظى بمكانة مرموقة ويتمتع بسند عسكري ومالي من شأنه أن يعينه على تحقيق مطامحه الكبرى[1].

في سنة 1520م راح "خير الدين" يخضع بتهديداته كل من موري القل، وفي السنة التي بعدها قام "خير الدين بربروس" بإخضاع قسنطينة لسيطرته أيضا، والتي راحت فترة من الزمن تدافع عن حرياتها ضد حاكم تونس، والتي كانت تابعة لها من قبل، ووجد سكان قسنطينة أنفسهم مضطرين إلى الاعتراف ب" خير الدين بربروس" كملك عليهم وخاصة وأنه أصبح سيد على القوم، لأن المسيحيين لم يكن لهم إلا هذا المرفأ الذي يشترون منه الأصواف والأغطية والجلود وغيرها، والتي يكسبون منها أرباحا طائلة[2].

دخلت القبائل التي تقطن في السهول المجاورة لمدينة الجزائر خفية ومعها أسلحتها، في حين ذهب قسم منهم إلى الساحل حيث ترسوا سفن القراصنة الأتراك من أجل إشعال النار فيها، وذلك وفقا للخطة المرسومة، فحينما يشاهد القراصنة النار تشتعل في سفنهم يسرعون لإطفائها، وحالما يخرجون من المدينة يقوم الأهالي بإغلاق أبوابها ويقتلون من تبقى من الرياس والأتراك، وبهذه الطريقة يتخلصون منهم، لكن جواسيس "خير الدين" أعلموه بما خطط له فألق القبض عليهم، وقطع رؤوسهم وعلقها على باب القصر، وبذلك خمدت ثورة الأهالي وخافوا من إعلان التمرد والعصيان[3].

وخلال خمس سنوات حرر فيها ابن القاضي مدينة الجزائر، كان " خير الدين" يعيد بناء قواته من جديد في قاعدته القديمة، وضاعت مملكته لكن البحر بقي له حيث عمل في القرصنة ثانية من هناك، كانت كوكو محتلة من قبل " كاره حسن" في سنة 1520م، حيث جمع فيها مخيمات القبائل واستولى على عنابة في سنة 1522م، وبعد ذلك تحالف مع شيخ بني عباس عدو ابن " القاضي"[4].

وبعد أن بسط "خير الدين" سلطانه على مدينة الجزائر وعدة مناطق داخلية فكر في التخلص من حصن البنيون الاسباني المقام على مدخل المدينة (برج الفنار)، لأن هذه القلعة الأسبانية تعتبر عائقا أمامه، كما تمثل

[1] – شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ص – ص 328-329.
[2] – فراي ديغو هايدو، المصدر السابق، ص 45.
[3] – عزيز سامح التر، المرجع السابق، ص 75.
[4] – كورين شوفاليه، المرجع السابق، ص 47.

نيلا من سلطانه، إضافة إلى هذين الاعتبارين أن " خير الدين" كان في حاجة إلى ميناء تلتجئ إليه السفن ويشكل في الوقت نفسه منطلقا قويا للسيطرة على البحر الأبيض المتوسط[1].

وفي ستة عشر ماي 1529م تم القضاء على البرج وأزال بذلك أحد أبرز نقاط المراقبة الإسبانية و لم يكتفي بتحطيمه فردم البحر بينه وبين ساحل المدينة وأوصله بها بواسطة رصيف طويل أصبح يكون ميناء الجزائر الحالي، فكان رد الإسبان على ما قام به "خير الدين" ان وجهوا حملة سنة 1531م على شرشال قادها "أندري دوريا" لكنها باءت بالفشل. وفي سنة 1535م أستدعي "حير الدين" إلى القسطنطينية ليعينه السلطان وزير للبحرية العثمانية، وقبل رحيله عين "حسن آغا" مكانه[2].

إن الفترة التي قضاها "خير الدين" بتونس رفقة أخيه "عروج" ربط الكثير من العلاقات بالموريين الذين راحوا يقدمون له هذه الخطة ،وهو يرى ألا يرفض هذا الطلب لهذه المملكة الغنية وعاصمتها، والاستيلاء عليها يجعل منه ملكا قويا ارتضى أن يكتب إلى السلطان العثماني يعلمه بما يجري ويطلب منه إرسال بعض القوات لتركها تحرس الجزائر وبينما هو ذاهب إلى تونس بقوات كافية لإنهاء الأمر بسرعة كما أعلم "خير الدين بربروس" السلطان العثماني، أنه يريد أن يكون في تونس في أسرع وقت وأن الاستيلاء عليها ليس بالأمر الصعب داعما طلبه هذا بإرسال أحد أتباعه بسفينتين مليئتين بالهدايا الثمينة للسلطان، وسائر أعضاء البلاد الملكي، هذا الأسطول كان تحت قيادة رئيس ديوان "خير الدين"، وتمكن بعدها " خير الدين" من دخول تونس من دون مقاومة[3].

وكانت الإنكشارية تنافس البحرية التي كان رجالها يحتقرون الإنكشارية ويسمونهم بثيران الأناضول ويساندون البايلرباي في امتناعهم عن الاستجابة إلى طلبتاهم، غير أن الرياس اضطروا إلى التنازل لفائدة الاوجاق وقبول عددا منهم في بحارتهم سنة 1568م، مما ساهم في تقهقر القرصنة رغم ما بذله الرياس من جهود، ولما كانت الجزائر مدينة القرصنة اضطرت إلى التسلح للقيام بالهجمات والتحضير لمواجهة ردود فعل الأساطيل المعادية[4].

---

[1] – مبارك الميلي، المرجع السبق، ص56.

[2] – يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص 18.

[3] – فراي ديغو هايدو، المصدر السابق، ص54 .

[4] –شارل أندري جوليان، المرجع السابق،ص–ص 335–336.

إن العامل الديني هو الأساس الذي استندت إليه شرعية الحكم في الجزائر أثناء العهد التركي، لكن التطور الأوربي لطبيعة السلطة ومفهوم الدولة قد انتهى إلى اعتماد الوثائق الأوربية والمصادر الغربية خاصة إلى نفي الاستقلال نفيا كليا عن الدولة العثمانية، و لم يسلم حتى بالكيان السياسي للجزائر قبل الاحتلال الفرنسي.

ونستشهد بما ورد في محاضرة اللجنة الإفريقية التي كانت تتقصى أوضاع الجزائر، فقد نص تقريرها على أن الأتراك الذين احتلوا الجزائر عسكريا قد تسببوا في تدميرها وأن حكومتهم لم تنتج سوى مغتصبين أعداء[1].

قد بدأت طائفة الرياس تشعر بمنافسة الجنود اليولداش الذين كانوا ينظرون بعين الحسد إلى الثروات التي كدسها الرياس خلال غاراتهم البحرية العديدة، وكان جنود " حسن قرصوا" يطمحون إلى المساهمة في الغزوات البحرية وامتلاك تلك الثروات[2].

و لم يكتفي القراصنة بإثراء عاصمتهم بواسطة القرصنة بل استغلوا خيرات بلاد الجزائر كلما توسعوا في غزوها وساعدهم على ذلك الفوضى السائدة في البلاد حين ذاك فقط، بل كذلك وحدة المعتقد بينهم وبين الأهالي ومن دون شك نشاط الزوايا أيضا، و لم يقتصروا على احتلال السواحل بل أسسوا حاميات في المدن التي تحتل مواقع إستراتيجية واستهدف تنظيمهم امتصاص خيرات الأهالي معتمدين على قبائل المخزن ابتداء من سنة 1563م ،وتوجيه المحلات لنهب البلاد ، أما الذهب الذي لا يرسله الباشا إلى السلطان فإنه يملأ به خزينته الخاصة به.[3]

من خلال ما سبق تتضح لنا رغبة القراصنة الأتراك في غزو الجزائر والاستفراد بها، وهو ما تحدده الصراعات بين رياس والانكشارية على الحكم، ودخول طبقة الكراغلة التي ثارت بدورها على نظام الحكم محاولين الانقلاب على آباءهم سنة 1633م ،و الذين هاجموا مدينة الجزائر وحاصروا القوات التركية بسبب عجز الولاة عن دفع المرتبات للجنود ، وحصلت بالمدينة مذبحة كبيرة و رهيبة بسبب انفجار مخزن للبارود و انتهى الأمر بسيطرة "الرايس علي بتشيني "[4] ،إلا أن الأتراك قضوا على ثورتهم، كما أن كل من القراصنة

[1] – ناصر الدين سعيدوني، الجزائر منطلقات وآفاق، ص180.

[2] –وليام سبنسر، المصدر السابق، ص87.

[3] –شارل أندري جوليان، المرجع السابق ، ص341.

[4] –يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص40.

الأتراك وبعد تمكنهم من استغلال العامل الديني وبسط سلطانهم و سيطرتهم على الجزائر قام القرصان "عروج" بالقضاء على جل الزعماء المحليين ،أهكذا تكون صفة الرابط الديني الذي جاء من أجله الأتراك حقيقة كشفتها تجاوزات الحكام وممارساتهم ونهب خيرات البلاد من خلال نظام الجباية، إضافة إلى الاهتمام بالمصلحة الشخصية والسعي وراء الثروة وتحقيق الهدف الحقيقي وهو السيطرة على منطقة شمال إفريقيا وجعلها تابعة للدولة العثمانية التي من خلال ذلك تضمن توسيع نطاق حدودها ورقعتها الجغرافية في إطار مشروع الإمبراطورية الذي بدأته في المشرق باستيلائها على بلاد الشام ومصر في 1514م و 1516م.

خاتمة : من خلال كل ما أوردناه في هذا الفصل فإنه يمكن الوقوف على عدة نتائج تمثلت في المقاومة التي وجدتها الجماعات التركية الرامية إلى السيطرة على الجزائر حيث ثارت بقايا الإمارات الزيانية والحفصية وبعض القبائل الرافضة للحكم التركي وامتدت موجة التمرد ما صعب على القراصنة الأتراك السيطرة على كافة البلاد إذ نرى مناطق ظلت مستقلة عن الحكم التركي واكتفت بعقد اتفاقيات معها، كما هو الحال بالنسبة لمملكة بني عباس، وإمارة كوكو في منطقة القبائل.

وكذلك نسجل العلاقة المتردية واتساع الهوة بين الأهالي والسلطة الحاكمة التي قامت سياستها اتجاه السكان بالدرجة الأولى على جباية الضرائب فقط، ومختلف الوسائل، ما نتج عن ذلك من رفض للحكم التركي ومحاولة بعض القبائل القضاء عليها نهائيا، لأن "خير الدين" ومن جاء بعده تصدوا لمختلف التمردات والثورات .

تطور الصراع على الحكم خاصة بين طائفة الرياس وطائفة الإنكشارية ومحاولة هذه الأخيرة الإنفراد بالحكم لتمتعها بامتيازات أقل حظ من طائفة الرياس الأمر نفسه نجده عند فئة اليولداش الذين كانوا يغارون من امتيازات الرياس، وغير بعيد عن ذلك انتفض الكراغلة ضد الحكام الأتراك في محاولة القضاء على الحكم.

خاتمة:

توصلنا بعد دراستنا لموضوع التواجد العثماني بالجزائر بين المقاومة والغزو1500-1637م إلى مجموعة من النتائج المعبرة عن حقيقة الوجود التركي للجزائر و السيطرة عليها:

1- تميزت الأوضاع الداخلية خلال الفترة الزيانية بالصراعات العائلية على السلطة ،مما أدى إلى ضعفها وتزايد الأطماع الخارجية حولها.كما سعى حكامها المحليون إلى السيطرة علي باقي الدويلات الواقعة بالمغرب الأوسط .

2- اتسمت العلاقة بين "الزيانيين "و"بني حفص" و"بني مرين "خلال القرن الخامس عشر ميلادي " بطابع التنافس والحرب،فالموقع الجغرافي للجزائر ووقوعها بين المرينيين في الغرب،والحفصيين في الشرق جعلها تتعرض للكثير من المشاكل، فكانت تارة تخضع لبني مرين وتارة أخرى لبني حفص، ما جعل حدودها غير مستقرة وكان ذلك سببا للاعتداءات الخارجية.

3- أدى الصراع القائم بين دول وممالك شمال إفريقيا إلى ضعف المنطقة وظهور روح التنافس فيما بينها خلص إلى تفاقم الأ وضاع وظهور الأحكام التعسفية. ما مهد لفتح الباب أمام التدخل الأجنبي في المنطقة ، وتوالي الهجمات الصليبية عليها وتحول الصراع فيما بعد إلى صراع مسيحي إسلامي ما سوف يؤدي في نهاية المطاف إلى ظهور الأتراك في شواطئ البحر المتوسط.

4- هناك العديد من العوامل التي ساهمت في تأجيج الصراع التركي الاسباني في الحوض الغربي للمتوسط من بينها الوحدة الاسبانية في مطلع القرن السادس عشر والتي من خلالها حاولت إحياء إمبراطوري بها، كما ساهم العامل الديني وبشكل كبير ، في تصفية الوجود الاسلامي في الاندلس و من ثم التوسع الاستعماري الاسباني في شمال إفريقيا كتتمة لهذا العمل.

5- في أواخر القرن الخامس عشر ميلادي عرفت ممالك ودول شمال إفريقيا حالة من التأخر والانحطاط بسبب الفوضى وعدم الاستقرار والانتباه للخطر الخارجي القادم من الضفة المقابلة للبحر المتوسط.كانت إسبانيا على دراية تامة بهذه الأوضاع من خلال بعث جواسيس لتفقد الوضع هناك.

6- نشطت الحملات الصليبية وتم احتلال العديد من المناطق الساحلية بدعوى محاربة القرصنة، لكن في نهاية الامر إنكمش هذا الوجود خلف أسوار المدن الساحلية، ولم يتعدى مساحة الموانئ ، فاحتل المرسى الكبير 1505م، ووهران 1509م، وبجاية 1510م، واستمرت هذه الحملات تشن على الجزائر إلى غاية 1541م حيث فشلت حملة شارل الخامس.

7- قام مجموعة من أهالي المدن الساحلية بالاستنجاد بالأخوين بربروسا اللذان استغلا الوضع الغير مستقر والخطر الخارجي لغزو المغرب الأوسط ومنه تم إلحاقه بالدولة العثمانية سنة 1518.

8- تمكن الأخوين بربروسا من استرجاع المناطق الساحلية التي تعرضت للاحتلال الاسباني، وقام حكما تركيا بالجزائر، إلا ان ممارسات هذه السلطة تميزت بالتعسف والتجاوزات ضد الأهالي ، ما جعلهم يثورون عليهم في كثير من الأحيان تحت قيادة زعماء محليين.

9- قامت العلاقة بين الجزائريين والإدارة التركية المحلية على طابع الجباية مما نتج عنه انتفاضات وثورات على السلطة الحاكمة.كما أن الممارسات الشنيعة للانكشاريين والسطو على أغراض وأعراض الناس زاد من تعميق الهوة بين السكان والسلطة التركية.

10- استعمل الأتراك وسائل و طرق متعددة لجباية الضرائب و شددت على جبايتها حتى باستعمال القوة بالنسبة للفئات الرافضة لدفع الضرائب ،اذ قام القراصنة الأتراك بتوجيه حملات عسكرية إلى العديد من المناطق التي تعرقل عملية الجباية.

11- قام القراصنة الأتراك بالقضاء على مختلف الزعماء المحليين على غرار سالم التومي و ابن القاضي وفي ذلك محاولة منهم لبسط السيطرة المطلقة على الجزائر دون عقبات ، كما أنهم و بالرغم من تمركزهم في الجزائر و قيادتهم لدفة الحكم إلا أن حكم القراصنة الأتراك لم يشمل كل البلاد الجزائرية غذ نلاحظ توقيع الأتراك لمعاهدات سلام و غيرها مع جل المناطق التي لم تخضع لحكم الأتراك كإمارة كوكو و تلمسان و بني جلاب.

12- شرع خير الدين بعد خلافة عروج على حكم الجزائر إلى تدعيم مركزه من خلال التصدي للخطر الخارجي المتمثل في الأطماع الإ سبانية من جهة والقضاء على المقاومات الداخلية من قبل السكان التي هددت التواجد التركي بالجزائر، الذي قام حكمه على الطبقة التركية مقابل تعمد إقصاء العنصر المحلي من توليه مناصب في الدولة، وحتى المؤسسة العسكرية.

13- لم يسمح القراصنة الأتراك للجزائريين بتولي المناصب العليا في الادارة خوفا من التفكير في الانقلاب على الأتراك وطال هذا الحرمان حتى المؤسسة العسكرية التي كانت عبارة عن مؤسسة مغلقة اقتصرت على العنصر التركي فقط فترة معتبرة إلى أن سمح للأهلي بالانخراط في صفوف الإنكشارية في عهد حسن باشا ،لكن رفض الانكشارية ذلك و قاموا بنصب مؤامرة ضده مع الباب العالي ، تمثلت في رغبته حسن باشا الانفراد بالجزائر و بحكمها.

14- الصراع بين طائفة الرياس و الانكشاريين للسيطرة على المغرب الأوسط من أجل الاستحواذ على الحكم ، غير أن هذا الصراع لم يقتصر على الانكشاريين و الرياس فقط و إنما طال حتى الكراغلة الذين أعلنوا تمردهم على القراصنة الأتراك في 1633م

15- ارتكز حكم القراصنة الأتراك بالمغرب الأوس على المؤسسة العسكرية المغلقة ، إضافة إلى العنصر التركي مع إقصاء الأهالي ، و نظام الجباية الذي ضاق من السكان في العديد من المناطق و قامت لأجله العديد الانتفاضات.

ملحق رقم 2 :التحرشات الإسبانية لشمال إفريقيا في القرن السادس عشر

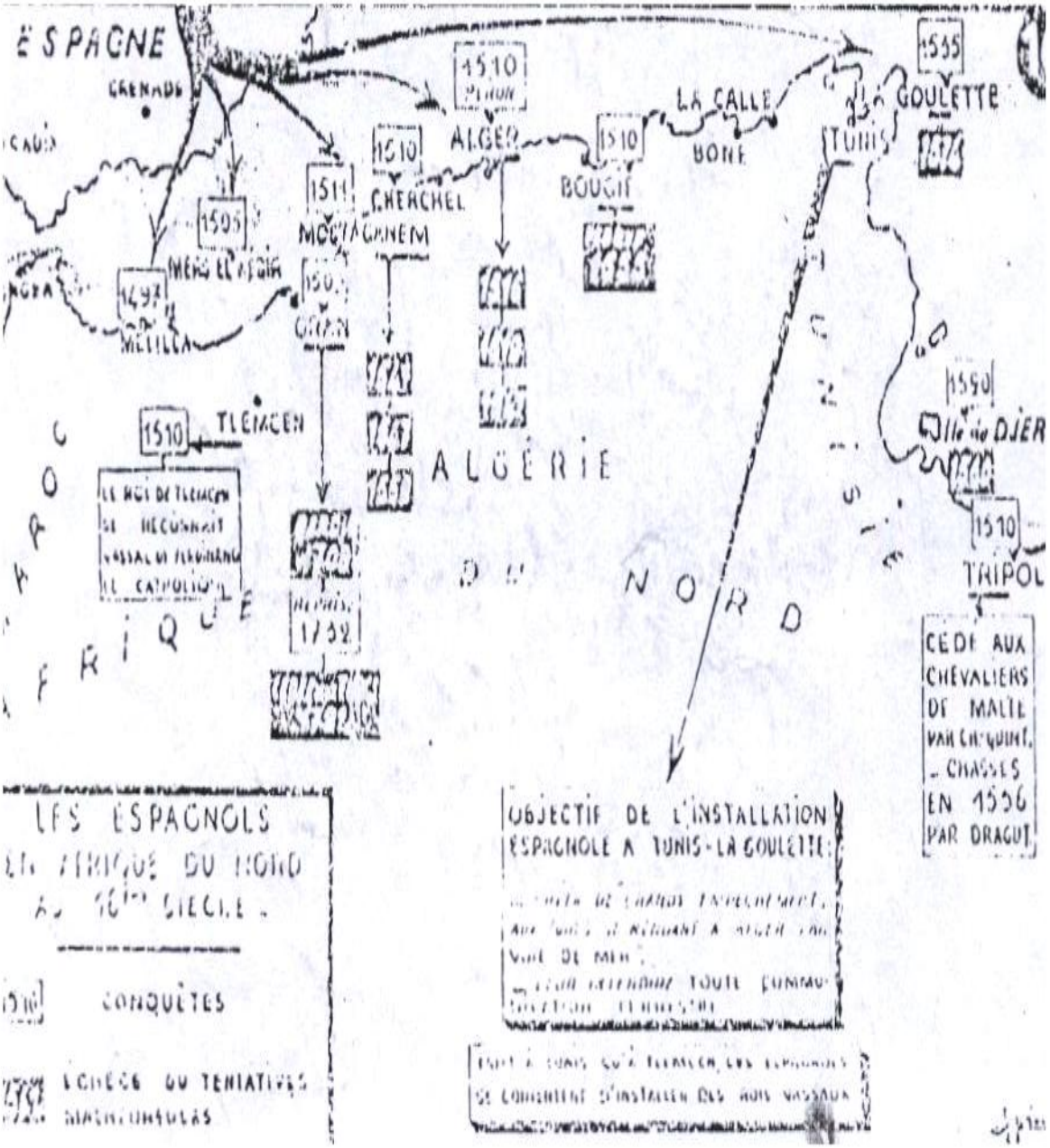

المصدر : عبد القادر حلمي : مدينة الجزائر قبل 1830

ملحق رقم 2 :

رسالة الاستغاثة التي أرسلها الأندلسيون على شكل قصيدة شعرية إلى السلطان با يزيد الثاني سنة 1501 م

سلام كريم دائم متجـــــــــدد ... أخص به مولاي خير خليفـــــــة
سلام على مولاي ذي المجد و العـــلا ... و من ألبس الكفار ثوب المذلـــــة
سلام على من وسع الله ملكـــــه ... و أيده بالنصر في كل وجهـــــة
سلام على مولاي من دار ملكـــه ... قسنطينة أكرم بها من مدينـــــة
سلام على من زين الله ملكـــــه ... بجند و أتراك من أهل الرعايـــــة
سلام عليكم شرف الله قدركـــم ... و زادكم ملكا على كل ملـــــــة
سلام على القاضي و من كان مقله ... من العلماء الأكرمين الأجلـــــة
سلام على أهل الديانة و التقـــى ... و من كان ذا راي من أهل المشـورة
سلام عليكم من عبيد تخلفـــوا ... بأندلس بالمغرب في أرض غربـــة
أحاط بهم بحر من الروم زاخـــر ... و بحر عميق ذو ظلام و لجـــــة
سلام عليكم من عبيد أصابهـــم ... مصاب عظيم يالها من مصيبـــة
سلام عليكم من شيوخ تمزقـــت ... شيوخهم بالنتف من بعد عـــــزة
سلام عليكم من وجوه تكشفـــت ... على جملة الأعلاج من بعد ستـــرة
سلام عليكم من بنات عواتـــق ... يسوقهم اللباط قهرا لخلـــــوة
سلام عليكم من عجائز أكرهـــت ... على أكل خرير و لحم الجيفـــة
نقبل نحن الكل أرض بساطكـــم ... و ندعو لكم بالخير في كل ساعـــة
أدام الإله ملككم و حياتكـــــم ... و عافاكم من كل سوء و محنـــة
و أيدكم بالنصر و الظفر بالعـــدا ... و أسكنكم دار الرضا و الكرامـــة
شكونا لكم مولاي ما قد أصابـــنا ... من الضر و البلوى و عظم الرزيـــة

غدرنا و نصرنا و بدل ديـــــــنا ظلمنا و عوملنا بكل قبيحـــــــــة

و كنا على دين النبي محمـــــــد نقاتل عمال الصليب بنيـــــــــة

و نلقى أمورا في الجهاد عظيمـــة بقتل و أسر ثم جوع و قلـــــــة

فجاءت علينا الروم من كل جانب بسيل عظيم جملة بعد جملـــــــة

و مالوا علينا كالجراد بجمعهـــم بجد و عزم من خيول و عـــدة

فكنا بطول الدهر نلقى جموعهـم فنقتل فيها فرقة بعد فرقـــــة

و فرسانهم تزداد في كل ساعـــة و فرساننا في حال نقص وقلـــة

فلما ضعفنا خيموا في بلادنـــــا و مالوا علينا بلدة بعد بلـــدة

و جاءوا بأنفاط عظام كثيـــرة تقدم أسوار البلاد المنيعـــــة

و شدوا عليها في الحصار بقـــوة شهورا و أياما بجد و عزمـــــة

فلما تفانت خيلنا و رجالنـــــا و لم نر من إخواننا من إغاثـــة

و قلت لنا الأقوات و اشتد حالنا أطعناهم بالكره خوف الفضيحـــة

و خوفا على أبنائنا و بناتنـــــا من أن يؤسروا أو يقتلوا شر قتلة

على أن تكون مثل من كان قبلنا من الدجن من أهل البلاد القديمة

ونبقي على أذاننا و صلاتنـــا ولاتتركن شيئا من أمر الشريعـــة

و من شاء منا البحر جاز مؤمنا بما شاء من مال إلى أرض عـــدوة

غير ذاك من شروط كثيـــرة تزيد على الخمسين شرطا بخمســـة

فقال لنا سلطانهم و كبيرهـــم لكم ما شرطتم كاملا بالزيـــادة

و أبدى لنا كتبا بعهد وموثـــق و قال لنا هذا أماني و ذمتـــــى

فكونوا على أموالكم و دياركـــم كما كنتم من قبل دون أذيـــــة

فلما دخلنا تحت عقد ذمامهـــم بدا غدرهم فينا بنقض العزيمـــة

و خان عهودا كان قد غرنا بهـــا و نصرنا كرها بعنف و سطـــوة

و أحرق ما كانت لنا من مصاحف و خلطها بالزبل أو بالنحاســـة

و كل كتاب كان في أمر ديننـــا ففي النار ألقوه بهزء وحقـــرة
و لم يتركوا فيها كتابا لمسلـــم و لا مصحفا يخلى به للقـــراءة
و من صام أو صلى و يعلم حاله ففي النار يلقوه على كل حالـــة
و من لم يجيء منا لموضع كفرهم يعاقبه اللباط شر العقوبـــة
و يلطم خديه و يأخذ مالـــه و يجعله في السجن في سوء حالـــة
و في رمضان يفسدون صيامنـــا بأكل و شرب مرة بعد مـــرة
و قد أمرونا أن نسب نبينـــا و لا نذكرنه في رخاء و شـــدة
و قد سمعوا قوما يغنون باسمـــه فأدركهم منهم أليم المضـــرة
و عاقبهم حكامهم و ولاتهـــم بضرب و تغريم و سجن و ذلـــة
و من جاءه الموت و لم يحضر الذي يذكرهم لم يدفنوه بحيلـــة
و يترك في زبل طريحا مجـــدلا كمثل حمار ميت أو بهيمـــة
إلى غير هذا من أمور كثيـــرة قباح و أفعال غزار رديـــة
و قد بدلت أسماؤنا و تحولـــت بأسماء أعلاج من أهل الغبـــاوة
و آها على أبنائنا و بناتنـــا يروحون للباط في كل غـــدوة
يعلمهم كفرا و زورا و فريـــة و لا يقدروا أن يمنعوهم بحيلـــة
آها على تلك المساجد ســـورت مزابل للكفار بعد الطهـــارة
و آها على تلك الصوامع علقـــت نواقيسهم فيها نظير الشهـــادة
و آها على تلك البلاد و حسنـــها لقد أظلمت بالكفار أعظم ظلمـــه
و صارت لعباد الصليب معاقـــلا و قد أمنوا فيها وقوع الإغـــارة
و صرنا عبيدا لا أسارى فنفتـــدى و لا مسلمين نطلقهم بالشهـــادة
فلو أبصرت عيناك ما صار حالنـــا إليه لجادت بالدموع الغزيـــرة
فيا ويلنا ، يا بؤس ما قد أصابنـــا من الضر و البلوى و ثوب المذلـــة
سألناك يا مولاي بالله ربنـــا و بالمصطفى المختار خير البريـــة

و بالسادة الأخيار آل محمـــــد ... و أصحابه أكرم بهم من صحابـة
و بالسيد العباس عم نبينـــــا ... و شيبته البيضاء أفضل شيبـــة
و بالصالحين العارفين بربهـــم ... و كل ولى فاضل ذي كرامـــة
عسى تنظروا فينا و فيما أصابنـا ... لعل إله العرش يأتي برحمـــة
فقولك مسموع و أمرك نافـــذ ... و ما قلت من شيء يكون بسرعـة
و دين النصارى أصله تحت حكمكم ... و من ثم يأتيهم إلى كل كـــورة
فبالله يا مولاي منوا بفضلكـــم ... علينا برأي أو كلام بحجـــة
فأنتم أولو الإفضال و المجد و العلا ... و غوث عباد الله في كل آلـــة
فسل بأيهم أعنى المقيم برومـــة ... بماذا أجازوا الغدر بعد الأمانـــة ؟
و ما لهم مالوا علينا بغدرهـــم ... بغير أذى منا و غير جريمـــة
و جنسهم المغلوب في حفظ ديننـا ... و أمن ملوك ذي وفاء أجلـــة
و لم يخرجوا من دينهم و ديارهـم ... و لا نالهم غدر و لا هناك حرمـــة
و من يعط عهدا ثم يغدر بعهـــده ... فذلك حرام الفعل في كل ملـــة
و لا سيما عند الملوك فإنـــه ... قبيح شنيع لا يجوز بوجهـــة
و قد بلغ المكتوب منكم إليهـــم ... فلم تعلموا منه جميعا بكلمـــة
و ما زادهم إلا اعتداء وجـــرأة ... علينا و إقداما بكل مســـاءه
و قد بلغت أر سال مصر إليهـــم ... و ما نالهم غدر و لا هناك حرمـــة
و قالوا لتلك الرسل عنا بأننـــا ... رضينا بدين الكفر من غير قهـــرة
و ساقوا عقود الزور ممن أطاعهـم ... و والله ما نرضى بتلك الشهـــادة
لقد كذبوا في قولهم و كلامهـــم ... علينا بهذا القول أكبر فريـــة
و لكن خوفا القتل و الحرق ردنـا ... نقول كما قالوه من غير نيـــة
و دين رسول الله ما زال عنـــدنا ... و توحيدنا لله في كل لحظـــة
و والله ما نرضى بتبديل دينـــنا ... و لا بالذي قالوا من أمر الثلاثـــة

و إن زعموا إنا رضينا بدينهـــــم ... بغير أذى منهم لنا و مســـــــاءه
فسل و حرا عن أهلها كيف أصبحوا ... أسارى و قتلى تحت ذل و مهنـــــة
و سل بلفيقا عن قضية أمرهـــــا ... لقد مزقوا بالسيف من بعد حســـرة
و منيافه بالسيف مزق أهلهـــــا ... كذا فعلوا أيضا بأهل البشـــــرة
و أندرش بالنار أحرق أهلهـــــا ... بجامعهم صاروا جميعا كفحمـــــة
فها نحن يا مولاي نشكو إليكـــم ... فهذا الذي نلناه من شر فرقـــــة
عسى ديننا يبقى لنا و صلاتنـــــا ... كما عاهدونا قبل نقض العزيمـــة
و إلا فيجلونا جميعا من أرضهـــم ... بأموالنا للغرب دار الأحبـــــة
فأجلاؤنا خير لنا من مقامنـــــا ... على الكفر في عز على غير ملـــة
فهذا الذي نرجوه من عز جاهكـــم ... و من عندكم تقضى لنا حاجـــــة
و من عندكم نرجو زوال كروبنـــا ... و ما نالنا من سوء حال و ذلـــــة
فأنتم بحمد الله خير ملوكنـــــا ... و عزتكم تعلو على كل عـــــزة
فنسأل مولانا دوام حياتكـــــم ... بملك و عز في سرور و نعمـــــة
و قمدين أوطان و نصر على العبد ... و كثرة أجناد و مال و ثـــــروة
و ثم سلام الله تتلوه رحمـــــة ... عليكم مدى الأيام في كل ساعـــة

المصدر:جمال يحياوي :سقوط غرناطة وماساة الاندلسيين،ص1250

قائمة المصادر والمراجع

المصادر :

القران الكريم

1. بن أحمد بن الشماع أبو عبد الله (محمد)، الأدلة البينة في مفاخر الدولة الحفصية, تحقيق وتدقيق : طاهر بن محمد المعموري, الدار العربية للكتاب, تونس , 1984.
2. العنتري (صالح) ، تاريخ قسنطينة، مراجعة: يحي بوعزيز، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر،2009.
3. المقري(أحمد)، نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب، الجزء الثاني، ترجمة: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1988.
4. المزاري آغا (بن عودة)، طلوع سعد السعود في أخبار وهران و الجزائر و اسبانيا و فرنسا إلى أواخر القرن 19، تحقيق : يحي بوعزيز، الجزء الأول، دار الغرب الإسلامي، بيروت ،1990.
5. هايدو فراي (ديغو) ، تاريخ ملوك الجزائر، ترجمة: أبو لؤي عبد العزيز الأعلى، دار الهدى ، الجزائر.
6. ابن (الأحمر)، تاريخ الدولة الزيانية، ط1، تر:هاني سلامة، مكتبة الثقافة الدينية، بورسعيد،2001.
7. كربخال(مارمور) ، تاريخ افريقيا، ج2، دار نشر المعرفة، الرباط،1988.
8. مجهول، مذكرات خير الدين، ترجمة : محمد دراج ، ط1، شركة الأصالة للنشر، الجزائر،2010 .
9. مجهول ، غزوات عروج وخير الدين، تصحيح وتدقيق: نور الدين عبد القادر، المكتبة الثعالبية و المكتبة الأردنية، الجزائر،1934.
10. سبنسر (وليام) ، الجزائر في عهد رياس البحر، ترجمة و تحقيق: عبد القادر زبادية، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2006.
11. فون مالستان(هاينريش)، ثلاث سنوات في غربي شمال افريقيا ، ترجمة وتدقيق: أبو العيد دودو، ج 1، ط1، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1978.
12. ابن (خلدون)، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ج7، مراجعة: سهيل زكار، دار الفكر، لبنان، 2000.

المراجع:

13. إيفا نوف (نبقولاي)، الفتح العثماني للأقطار العربية 1516-1574 ، ترجمة : يوسف عطا الله، مراجعة : مسعود ضاهر، ط1، دار الفارابي ، بيروت ، 1988.

14. أليلي (مبارك) ، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، مكتبة النهضة، الجزائر، الجزء الثالث،1964.

15. الجمل (شوقي) ، المغرب العربي الكبير, مكتبة الانجلو المصرية, القاهرة.

16. المدني (توفيق) ، حرب الثلاث مائة سنة 1492-1792،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،الجزائر.

17. السيد(محمود)، تاريخ دول المغرب العربي , مؤسسة الشباب الجامعية , مصر , 2000.

18. العسلي(بسام)، خير الدين بربروس (والجهاد في البحر)، دار النفائس، بيروت، ط1980،1.

19. الصلابي (محمد علي) ، الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط، الطبعة 1، دار التوزيع والنشر، بورسعيد.

20.الصلابي (محمد علي)، دولة الموحدين، دار البيارق، عمان.

21. الشطشاط (علي حسين) ، نهاية الوجود العربي في الأندلس، دار قوباء، القاهرة، 2001.

22. التر عزيز (سامح) ، الأتراك العثمانيون في افريقيا الشمالية، ترجمة: محمود علي عامر، ط 1، دار النهضة العربية، بيروت، 1989.

23. الشناوي (عبد العزيز محمد) ، الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها، ج2، مكتبة الانجلو المصرية، مصر، 1980.

24. الذنون (عبد الحكيم)، آفاق غرناطة ، البحث في التاريخ السياسي والحضاري العربي، ط1، دار المعرفة، دمشق، 1988م.

25. بوحوش (عمار) ، التاريخ السياسي للجزائر من البداية وحتى 1962، ط 1، دار الغرب الإسلامي ،بيروت، 1997.

26. بوعزيز (يحى) ، تلمسان عاصمة المغرب الأوسط، ،وزارة الثقافة، الجزائر، 2007.

27. بوعزيز (يحي) ، الموجز في تاريخ الجزائر, ج 1, ط2, ديوان المطبوعات الجامعية, الجزائر، 2009.

28. بوعزيز (يحيى) ، الموجز في تاريخ الجزائر الحديثة ، ج2 ، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر.

29. بورينة (رشيد) وآخرون، الجزائر في التاريخ 3 العهد الإسلامي من الفتح إلى بداية العهد العثماني , المؤسسة الوطنية للكتاب , الجزائر , 1984.

30.برنشفيك (روبار), تاريخ افريقية في العهد الحفصي من القرن 13 إلى نهاية القرن 15, ترجمة : حمادي الساحلي, الجزء الأول, الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامي, بيروت , 1988.

31. جوليان (شارل أندري) ، تاريخ إفريقيا الشمالية، تونس،الجزائر، المغرب الأقصى من الفتح الإسلامي إلى سنة1830م، ج2، ترجمة: مزالي محمد وبن سلامة البشير، الدار التونسية، تونس.

32. جلال (يحي)، المغرب العربي الكبير, ط2، المكتب الجامعي الحديث , مصر, 1982.

33. وولف (جون)، الجزائر و أوربا ، ترجمة : أبو القاسم سعد الله، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر،1986.

34. حساني (مختار)، تاريخ الدولة الزيانية, ج1، منشورات الحضارة , الجزائر, 2009.

35. ياغي (أحمد) ، الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث، الطبعة الثانية، مكتب العبيكان، 1998.

36. يحياوي (جمال)، سقوط غرناطة ومأساة الأندلسيين 1492م- 1610م، منشورات وزارة الدينية والأوقاف، تلمسان، 2011.

37. محمد (مورو), بعد 500 عام من سقوط الأندلس 1492 – 1595 الجزائر تعود إلى محمد صلى الله عليه وسلم, المختار الإسلامي، القاهرة.

38. مصطفى أحمد (عبد الرحيم)، أصول التاريخ العثماني، ط3، دار الشروق، القاهرة، 2003.

39. سعيدوني (ناصر الدين) ، الجزائر منطلقات وآفاق، ط2، عالم المعرفة، الجزائر،2009.

40. عمورة (عمار) ، الجزائر بوابة التاريخ، الجزء الثاني، دار المعرفة، الجزائر، 2006.

41. عمورة (عمار) ، موجز في تاريخ الجزائر, الطبعة الأولى , دار الرحالة، الجزائر، 2000.

42. عمورة (عمار) ، موجز في تاريخ الجزائر، الطبعة الأولى، دار ريحانه ، الجزائ 2002.

43. عباد (صالح) ، الجزائر خلال العهد العثماني1514-1830، دارهومة، الجزائر،2005.

44. شوفاليه (كورين) ، الثلاثون الأولى لقيام دولة مدينة الجزائر 1510-1541، ترجمة: جمال حمادنة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر.

45. شوقي (ضيف)، عصر الدول والإمارات الجزائر ــ المغرب الأقصى ــ موريتانيا ــ السودا ن, ط1، دار المعارف, القاهرة.

الرسائل والأطروحات الجامعية:

46. بوبكر (محمد السعيد) ، العلاقات السياسية الجزائرية الإسبانية خلال القرن 18م، إشراف: مختار حساني، رسالة ماجستير، معهد العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، المركز الجامعي بغرداية،2010-2011.

47.بوتدارة (سالم) ، تاريخ شمال إفريقيا من خلال كتابات مار مول كار بخال والحسن الوزان ,إشراف حنيفي هلايلي، رسالة ماجستير , التاريخ الحديث والمعاصر, قسم التاريخ ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية, جامعة سيدي بلعباس , 2010 – 2011.

48. كامل (بسام) و شقدان (عبد الرزاق)، تلمسان في العهد الزياني 1235-1555م، رسالة ماجستير، كلية الدراسات العليا، نابلس،فلسطين، 2002 .

49. كليل (صالح)، سياسة خير الدين في مواجهة المشروع الاسباني لاحتلال المغرب الأوسط ، إشراف: علي اجقو، مذكرة لنيل شهادة الماجستير،تخصص حديث ومعاصر،قسم التاريخ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية،جامعة العقيد لخضر باتنة، 2006-2007.

50. معاشي (جميلة) ، الانكشارية والمجتمع ببابليك قسنطينة نهاية العهد العثماني، إشراف كمال فيلالي، رسالة دكتوراه، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ والآثار، جامعة منتوري، قسنطينة، 2007-2008.

51.بن سالم (فاتح) و (عزيزي) مخلوف، الوجود العثماني بالجزائر 1516-1535م، مذكرة لنيل شهادة ليسانس، كلية الآداب والعلوم الاجتماعية، تخصص مغرب حديث، جامعة بوضياف ، المسيلة ، 2007-2008.

52.رضوان نبيل (عبد الحي)، جهود العثمانيين لإنقاذ الأندلس واسترداده ، إشراف: محمد عبد اللطيف البحراوى، رسالة دكتوراه، كلية الشريعة، جامعة أم القرى، السعودية،1987.

المقالات:

53.التميمي (عبد الجليل)،" أول رسالة من أهالي الجزائر إلى السلطان سليم عام 1519"، المجلة التاريخية المغربية، (تونس-جويلية-1976).

54.حكمت (ياسين)، "الغزو الإسباني للجزائر في القرن 16"، مقال، نشر في مجلة الأصالة، الساعة 14:15، 1973/05/03، وزارة التعليم والشؤون الدينية، مطبعة البعث، قسنطينة.

55.طوهارة (فؤاد)،" النشاط الاقتصادي في تلمسان خلال العهد الزياني ق 13-ق15"، مجلة جيل العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد الثاني.

56. سهيل (جمال الدين) ،"ملامح من شخصية الجزائر خلال القرن السابع عشر"، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، عدد13.

57. سعيدوني (ناصر الدين) ، "ثلاث رسائل تتعلق بأوضاع الجزائر قبل الاحتلال "، مجلة التاريخ، العدد1979،07.

القواميس والموسوعات

58. الزبيدي محمد مرتضي (الحسيني) ، تاج العروس من جواهر القاموس ،ج 39،ط1،تر:عبد المجيد قطامش،مؤسسة الكويت للتقدم العلمي،الكويت ،2001.

59. الخطيب مصطفى (عبد الكريم)، معجم المصطلحات والألقاب التاريخية، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1996.

60. عاطف (عيد) وحليم (مشال) حداد، قصة و تاريخ الحضارات العربية تونس-الجزائر موسوعة، تاريخية- جغرافية-حضارية وأدبية.

المواقع الإلكترونية:

http//wikimedia-dz.org.61

http:// Ar.wikipedia.org.62 "مادة غزو"

أ- فهرس الاعلام

الحرف	الأعلام	الصفحة
الألف	أحمد بوعكاز	46
	أحمد ابن القاضي	40
	ألونو دي ارجوان	34
	إليزابيلا	24، 27، 29، 36
	أندري دوريا	33 34، 35، 52
	أنطونيو دي رفانيدا	32
	الأشرف	26
الباء	بايزيد	26
	بيدرو نافارو	31
التاء		
	أبو تاشفين	13، 18
الثاء	أبو ثابت	17
الجيم	أبو جعفر الدوادي	15
	جيرونيمو فينالي	29
الحاء	حسن آغا	33، 34، 35، 52
	حسن باشا	49
	أبو الحسن علي ابن قنون	15
	حسن فتريانو	48،50،
	حسن قاره	38، 39
	أبو الحسن السعدي	13
	أبو حمو الثاني	13، 14، 19
	أبو حمو الزياني	31

	خمينيس	31
الخاء	خير الدين	32، ، 33، 34، 37، 40، 41، 42، 45، 46، 51، 52، 53، 54
الدال	دي تينديا	29
	ديقو فرناندیز قرطبة	30
الراء	راوي بن كبيسة	31
	رايموندي دي قرطبة	30
	روميو	34
الكاف	كازيمنياس	29
	كمال رايس	26
اللام	لكوديت	34
	لوراندي باديا	29
الميم	محمد آغا	49
	محمد بن علي	45
	محمد الصخري بوعكاز	46
	محمد ابن مرزوق القيرواني	15
	مراد باي	46
	مرتينو دي رنتيريا	32
	مولاي عبد الله	36، 39
الصاد	صالح رايس	47
العين	أبو عبد الله	32
	أبو عبد الله محمد التميمي	15
	أبي عبد الله الصغير	24
	عبد الرحمان	31

	عبد العزيز الحفصي	37
	عبد الله	31
	عروج	36، 37، 38، 39، 40، 41، 44، 45، 46، 51، 52
الفاء	أبو فاس التلمساني	19
	فرديناند	24ن 25، 29، 30، 31، 36
	فرغارة	34
القاف	ابن القاضي	45، 46، 52
	ابن قتيل أحمد الصخري	46
السين	سالم التومي	32، 36، 38، 39، 44
	السعيد الشريف	34
	سليم الأول	37
	سليمان القانوني	33، 34
	أبو سعيد	17، 18
الهاء	هنري غارو	30
الياء	يغموراسن	13
	يوحنا الثالث	33، 35

ب- فهرس الاماكن

الحرف	الأماكن	الصفحة
الالف	أرغون	24
	اسبانيا	24، 26، 27، 28، 34، 36، 37
	استانبول	33
	إفريقيا	24، 26، 27، 28، 29، 41، 42
	إقليم الزاب	29

	ألمانيا	34
	أمريكا	28
	اندرش	25
	أوربا	24، 26، 28، 29
	ايطاليا	34، 37
الباء	بجاية	12، 19، 31، 32، 35، 36، 37، 45
	البحر الأبيض المتوسط	24، 26، 27، 28، 42
	البحر الأحمر	34
	البرتغال	24
	بسكرة	19
	البشرات	25
	البندقية	26
التاء	تلمسان	12، 13، 16،15، 17، 18، 19، 21، 29، 32، 40، 41، 51
	تونس	12، 17، 20، 21، 27، 32، 33، 37، 40، 41، 52، 53
	تقرت	47
	ترانسلفانيا	26
	تامنتفوست	36
	تنس	32، 36، 38، 39، 40، 49، 51
	الجزائر	12،14، 17، 18، 19، 20، 21، 22، 24، 31، 33، 34، 35، 36، 38، 39، 40، 41، 42، 44، 45، 46، 48، 49، 51، 52، 53، 54
	جبل كوكو	45

الجيم	جبل طارق	26، 28، 33
	جنوة	37
	جزر البليار	48
	جيجل	36، 37، 38، 45
الحاء	حسين داي	35
الدال	دلس	39
الراء	روما	26، 27
الكاف	كدية الصابون	35
اللام	ليون	24
الميم	المغرب	17 ،20، 21، 24 ، 27، 28، 29، 36،
	المجر	26
	المشرق	26
	ملقة	30
	مالطا	26
	مولدافيا	26
	المغرب الأقصى	12، 20
	المغرب الأوسط	12، 14، 16، 20، 29، 36
	مليلة	29
	المرسى الكبير	30، 36
	مسرغين	32

	مستغانم	32
	مزغران	32
	المحيط الأطلسي	34
	مراكش	25
	مليانة	39
النون	الأندلس	12، 21، 22، 24، 25، 26، 28، 29، 36، 37
	نافارة	24
الصاد	صقلية	26
العين	عنابة	45، 52
الغين	غرناطة	21، 24، 25، 26، 27
الفاء	فاس	18، 28
القاف	القل	51
	قشتالة	24، 25
	قبصة	39
	القسطنطينية	42، 52
	قرطاجنة	30
السين	سبتة	20
	السودان	16
	سرقسطة	32
الشين	الشلف	18، 40
	شرشال	32، 33، 37، 38، 44، 51

الواو	وهران	18، 29، 30، 31، 32، 34
ج- فهرس الجماعات		
الحرف	الجماعات	الصفحة
الألف	الأتراك	24، 26، 28، 33، 34، 36، 38، 39، 40، 41، 42، 44، 45، 46، 47، 48، 50، 51، 54، 55
	الاسبان	12، 21، 22، 24، 25، 27، 28، 29، 30، 31، 32، 38، 39، 40، 41، 42، 44، 45
	الافرنج	41
	الامارات الحفصية	29
	امارة الثعالبة	29
	امارة الزواوة	29
	امارة بني جلاب	29
	امارة بني ورجلان	47
	إمارة تقرت	47
	الأمازيغ	15
	الأندلسيون	16، 24، 33
	الأوجاق	53
	الأوربيون	16
	اولاد امقران	46
	اولاد عبد المؤمن	46
	آيت بوشايب	45

	آيت فرلونس	45
	إمارة كوكو	29
	آيت يحي	45
الباء	البرتغاليون	22
	بني الاحمر	12
	بني زيان	29، 39
	بني سليم	17
	بني عامر	31
	بني عباس	37، 47، 52
	بني عبد الواد	12، 13، 14، 18، 19، 20، 22
	بني هلال	17
	البولنديون	26
التاء	التلمسانيين	16
الثاء	الثعالبة	14، 44
الجيم	الجزائريين	33، 44، 45، 47، 48، 49
الحاء	الحفصيين	12، 13، 14، 18، 19، 20، 22، 27
	الحنانشة	46
الراء	الرومان	29
	رياس البحر	55
الزاي	الزيانيين	31، 40
الكاف	الكراغلة	54، 55
	المرينيين	12، 13، 17، 18، 19، 20، 22

الميم	المسلمين	17، 25، 26، 27، 28، 31، 32، 35، 36
	المسيحيين	19، 21، 25،31، 36، 40، 42
	المورسكيون	25
	الموريين	52
العين	العرب	14، 15، 16، 27، 31، 37،46
القاف	القساوسة	25، 27
	القراصنة	26، 33، 34، 38، 41، 42، 50، 51، 52، 53، 54
الياء	اليهود	28

المحتوى	الصفحة
البسملة	1
الاهداء	3 - 2
شكر وعرفان	4
مقدمة	12 - 6
المدخل	16– 14
الفصل الاول: أوصاع المغرب الاوسط قبيل 1500م	29 - 18
المبحث الاول: الاوصاع الداخلية	18
المبحث الثاني: العلاقات الخارجية	23
المبحث الثالث: نتائج الصراع بين ممالك شمال إفريقيا خلال القرن15وبداية القرن16م	26
الفصل الثاني: الصراع التركي الاسباني في الحوض الغربي للمتوسط 1492–1541م	50 - 31
المبحث الاول: ظروف واسباب الصراع التركي الاسباني في غرب المتوسط	31
المبحث الثاني: التحرشات الاسبانية على الجزائر	36
المبحث الثالث: الاستنجاد بالأتراك و إلحاق الجزائر بالدولة العثمانية	43
الفصل الثالث: المقاومة الجزائرية وطبيعة العلاقة التركية	63 - 52
المبحث الاول: مقاومة الوجود التركي	52
المبحث الثاني: علاقة الاهالي بالإدارة التركية	56
المبحث الثالث: طبيعة الوجود التركي بالجزائر1512–1637م	59
خاتمة	67 - 65
الملاحق	74 - 69
قائمة المصادر والمراجع	80 -76
فهرس الاعلام والاماكن	90 - 82
فهرس الموضوعات	92